٢٥٨

HARLEQUIN

روايات احلام

بلا عودة

هيلين بروكس

www.elromancia.com

مرمورية

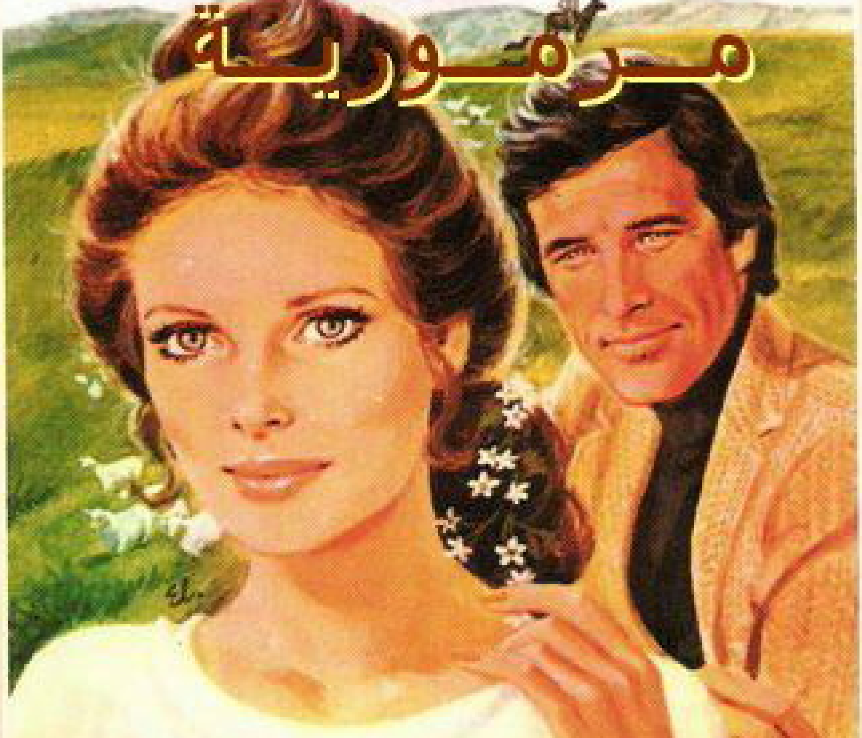

بلا عودة

كانت جورجينا تعمل مؤقتاً في شركة شقيقها، حين اكتشفت أن «مات دو كابسترانو» المتعجرف سيستولي على أعمال الشركة. وأرادت الهروب فوراً، فمن المستحيل أن تعمل لرجل مثله.

لكن ما كان عليها أن تخبر مات برأيها فيه بصراحة... فقد هدد على الفور بسحب عرض مساعدته للشركة ولأخيها، إلا إذا عملت جورجي مساعدة شخصية له، وعادت معه إلى وطنه في إسبانيا...

... وهكذا حاصرها من كل الجهات، فكيف ستقاوم؟

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ٢ دينار	مصر: ١٠ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٣ دينار
قطر: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-095-8

هيلين بروكس

تقيم هيلين بروكس في «نورثامبتونشير» وهي متزوجة ولها ثلاثة أولاد. إنها مؤمنة ملتزمة وربة منزل وأم منهمكة، مما لا يدع لها الكثير من أوقات الفراغ. من هواياتها القراءة والسباحة والعناية بالحديقة والتنزه مع كلابها القوية النشيطة. حققت هيلين حلمها القديم بالكتابة حين أرسلت في سن الأربعين أولى قصصها لـ «ميلز أند بونز».

www.elromancia.com

١ ـ الصدمة القاتلة

اتسعت عينا جورجي الخضراوان بلون البحر وهي تحدّق مصدومة في وجه أخيها المضطرب:

ـ وهل الأمور سيئة إلى هذا الحد؟ لكن لماذا لم تخبرني بحق السماء؟ لساعدتك بطريقة ما.

هزّ روبرت ميليت رأسه الأشقر ببطء: «كيف؟ ما كان بمقدورك فعل شيء جورجي.. ما من أحد يستطيع. كان هناك أمل بسيط قبل أن نخسر العقد الأخير. لقد راوغ ساندرسن العجوز للحصول على الصفقة.. لكن كل شيء جائز في الحب والحرب، على حدّ قوله».

تجعد جبين جورجي الناعم الأملس بعبوس غاضب. فمايك ساندرسن رجل عجوز خسيس، وهي لا تثق به أبداً.

قالت متوترة: «إنه محتال.. ولا أعرف كيف يستطيع أن ينام ليلاً مع ضميره المثقل بسبب أساليبه الملتوية».

ضم روبرت أخته بين ذراعيه لحظة وهو يقول: «جورجي.. جورجي».

ثم أبعدها عنه ونظر إلى وجهها المحمر، مضيفاً:

ـ كلانا يعرف أن اللوم لا يقع على مايك في ورطتي. اضطررت إلى اتخاذ بعض القرارات في الأشهر الأخيرة حين كانت ساندرا مريضة جداً، لكني أعرف أنني قمت بالخيار الصحيح. ولست نادماً على شيء، وإذا

أخفقت أعمالي، فهذا يعني الإفلاس.

ـ أوه روبرت.

هذا غير عادل.. فحين اكتشف روبرت أن زوجته الحبيبة ساندرا، تعاني من مرض نادر لم يترك لها سوى بضعة أشهر لتعيش، بذل جهده لجعل آخر أيامها سعيدة، وللعناية بتوأمهما، دايفد وآني، البالغين من العمر سبع سنوات، ومحاولة حمايتهما من الألم قدر المستطاع، مع ذبول أمهما التدريجي.. ولم تطلع ساندرا وروبرت أحداً على الوضع.. حتى جورجي لم تعرف بمرض ساندرا المميت إلاّ قبل أربعة أسابيع من موتها.

حصل هذا منذ ستة أشهر، وأدركت على الفور ما عليها أن تفعله.. فوضبت حقائبها، وتركت وظيفتها الرائعة ذات المرتب الجيد في مجال الإعلان، وعادت بأقصى سرعة إلى منزل العائلة لتحمل جزءاً من عبء روبرت في الأسابيع الحرجة الأخيرة من مرض ساندرا.

ولِمَ لا تقوم بمثل هذه الخطوة؟ فقد فتح روبرت وساندرا أذرعهما لها حين كانت طفلة صغيرة مشوشة يتيمة. كانت في العاشرة من عمرها، وتحتاج إلى الحب والرعاية. والآن، وبعد ثلاثة عشرة سنة، جاء دورها لتعوِّض الحنان والدفء اللذين أغدقا بهما عليها، والذي لم يقلّ ذرة واحدة حين ولد ولديهما.

سألت: «ماذا عن صفقة دو كابيسترانو؟ لقد عرضوا علينا عقداً.. أليس كذلك؟ والمكسب مهم».

كانت ساندرا تتولى إدارة الأعمال المكتبية في مؤسسة روبرت للإعمار قبل مرضها. وبعد سلسلة من المحاولات المتعثرة، اضطرت جورجي إلى ترك عملها في الأشهر الأخيرة لتفهم متطلبات المهام المكتبية. لكن روبرت تقوقع بعد الجنازة في عالم خاص به.

فدعم وإعالة ساندرا، ولعب دور الأب والأم بالنسبة للولدين، ترك أثراً كبيراً عليه.

ـ دو كابيسترانو؟

ومرر روبرت يداً متعبة في شعره الكثيف. ولاحظت جورجي، خافقة القلب، أن الشعر الرمادي بدأ يختلط بشعره الذهبي..

ـ نحتاج لمزيد من الرجال والمعدات لنجعل العمل قابلاً للتنفيذ.. والمصرف يتذمر. لقد اعتمدت على مكاسب العمل الآخر لتمويل مشروع «دو كابيسترانو».

برز ذقن جورجي الصغير بعدوانية، وكأنها تخوض معركة ضد عدو خفي.

ـ إنهم ليسوا أغبياء.. سيرون الإمكانيات بالتأكيد!

ـ كنت أعتقد أنك ضد صفقة دوكابيسترانو.

نظرت جورجي إليه متفرسة، ومقطبة الجبين.. كان عمر روبرت يوم ولدت ست عشرة سنة، وقد فقد والداهما الأمل في إنجاب طفل آخر.. لهذا، لطالما تصرّف بشكل أبوي نحوها، حتى قبل حادثة السيارة التي قتلت والديهما، ولطالما تمردت ضد رصانته واعتبرت وجهات نظره في المواضيع المحببة إلى قلبها مملة. لكن الوقت ليس للبحث في كل هذا الآن.. ذكرت نفسها بذلك وهي تنظر إلى زرقة عينيه القلقتين.

قالت بوضوح: «هذا موضوع منفصل.. فإذا كانت المسألة هي عقد دوكابيسترانو أو إفلاس شركتك، فسأقبل بالعقد».

ارتسم على وجه روبرت ما يشبه ابتسامة عريضة وقال: «ليتهم يسمعونك الآن..».

وكانت هذه البسمة الأولى منذ أيام، فاعتبرتها جورجي دلالة جيدة.

ـ إنهم لا يسمعونني.. فماذا عن المصرف؟

ـ ما من فائدة.

بدا جلياً أن عزيمة روبرت تتخلى عنه: «سيزورنا دوكابسترانو بنفسه هذا الصباح، ولن يهتم بالعمل مع مؤسسة بناء غير متينة».

فكّرت جورجي في حلّ بذعر: «حسن جداً.. ماذا لو طلبت من دو كابسترانو تمويل الرجال والمعدات على أساس شروط قصيرة الأمد؟ وما

إن نبدأ بالعمل حتى نتمكّن من الدفع له بسرعة. من المعروف أنه مقاول كبير، وفاحش الثراء».

ردّ روبرت ساخراً: «بالضبط.. ولم يصبح هكذا بإسداء الخدمات. فسمعته مخيفة، وهو لا يهتم سوى بحركة الأموال السريعة ذات المكاسب الكبيرة. واجهي الأمر جورجي.. بإمكانه التعامل مع شخص آخر من دون تردد.. وهذه نهاية القصة».

مدد شقيقها جسمه الطويل النحيل بتعب في المقعد الجلدي وراء المنضدة المليئة ببريد الصباح، والتفت إلى الرسالة المشؤومة المفتوحة أمامه. كانت الرسالة تقول إن ساندرسن نجح في الحصول على عقد بناء مجمع الاستراحة الجديد في المدينة، وهو عقد كان سيوفر أرباحاً لتمويل رواتب العمال واستئجار المعدات لمشروع دو كابسترانو.

ـ لكن، روبرت..

رفع روبرت رأسه إلى أخته وقال: «من دون لكن.. دو كابسترانو كساندرسن. إنه يعرف كل الخفايا والأشخاص المناسبين.. انظري إلى الصفقة التي سنناقشها هذا الصباح. لقد حصل على قطعة الأرض الممتازة هذه بمبلغ زهيد منذ سنوات مضت، وتمسك بها إلى أن حان الوقت المناسب للبناء عليها، وسيحصل على مكاسب تفوق ما يخطط له بكثير».

ـ أجل.. حسن جداً..

وحركت أنفها الصغير المستقيم الذي ورثته عن أمها، بقرف.. غير قادرة على إخفاء رأيها الحقيقي أكثر.

ـ أنا آسفة.. لكن يجب أن أقول إن تدمير تلك الأرض الجميلة هو نوع من التدنيس! لقد تمتع الناس بتلك الأرض كحديقة عامة في الصيف منذ زمن بعيد، هل تذكر ذلك النوع النادر من الفراشات الذي عثر عليه هناك حين انضممت إلى جمعية حماية البيئة؟

هز روبرت كتفيه: «الفراشات ليست استثماراً جيداً. ولا الزهور البرية وما شابهها.. أو إعطاء العائلة الأولوية من دون أن يكون المرء

ظالماً.. ربما لو كنت مثل دو كابسترانو، لما تعرّض ولديّ لخطر خسارة السقف الذي يجمعهما تحته».

فقالت جورجي بقسوة: «لا تقل هذا. أنت أفضل أب وزوج وشقيق في العالم. أنت رجل يساوي عشر رجال من أمثال دو كابسترانو، ومئة..».

ـ وهل التقينا من قبل؟

رأسان شقراوان التفتا معاً وكأنهما موصولان بشريط واحد، ونظر زوجان من العيون الخضراء المذعورة والزرقاء المذهولة إلى الرجل الأسمر الطويل الواقف بباب المبنى الصغير، الذي يضم مكتب روبرت.. كان الصوت بارداً كالثلج.. حتى وإن لم تؤكد اللكنة الخفيفة أنه دو كابسترانو، لعرفت جورجي هذا على الفور. فالبذلة الرائعة التفصيل، والقميص الحريري، وربطة العنق المناسبة على الجسم الطويل الرشيق تعكس ثراء لا حدود له. وبدت المرأة الرشيقة الجميلة الواقفة خلف الرجل المسيطر أنيقة.. ومنزعجة مثله تماماً. أهي سكرتيرته؟ أم لعلها زوجته؟

وتركزت أفكار جورجي المتسارعة على الرجل وحده وهو يقول مجدداً: «هل التقينا من قبل؟».

وكان في صوته هذه المرة نعومة أشبه بحدّ السكين.

ـ سيد دو كابسترانو؟

وارتجف صوت جورجي الواضح عادة، بشكل طفيف، وهي تتنحنح متوترة. اهتز الرأس الأسود ببطء، وثقبت العينان الرماديتان كالفولاذ وجهها.. وأكملت: «أنا آسفة.. لم أعرف..».

وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تتابع بتماسك أكبر: «لا سيد دو كابسترانو.. لم نلتقِ من قبل، ولا عذر لي على وقاحتي».

ـ حسن جداً.

لكن النظرة الجامدة في الوجه البارد لم تخفّ بمقدار ذرّة.

استجمع روبرت شجاعته وقطع الغرفة ثم مدّ يده قائلاً: «سيد دو كابستراتو، أرجو أن تفهم.. ما سمعته لم يكن تعليقاً موجهاً ضدك بل محاولة لتشجيعي. ولم يكن القصد شخصياً، أنا روبرت ميليت، وهذه شقيقتي جورجي».

ساد صمت قصير، بدا وكأنه سيدوم إلى الأبد. لكنه أمسك اليد الممدودة أخيراً، وقال: «مات دو كابستراتو.. وهذه سكرتيرتي، بيبيتا ڤيلاسيكا».

ولحقت جورجي بأخيها، ومدت يدها إلى المرأة الأنيقة الواقفة إلى جانب السيد دو كابستراتو الشهير. وساد صمت طويل، وبدا الوجه الجميل بارداً وهي تمد يدها ببطء إلى جورجي. سحبت يدها على الفور، ورمقتها بنظرة متعالية تقول بوضوح إنها تفضلت بهذا على جورجي. بيبيتا.. والتفتت جورجي إلى العينين الآبنوسيتين الجميلتين، اللتين تشبهان الأونيكس الأسود اللماع.

وعندما تحرك روبرت لمصافحة السكرتيرة اضطرت جورجي إلى رفع عينيها إلى النظرة السوداء التي تتفرس بوجهها، واعترفت بما سجّله عقلها منذ قليل. هذا الرجل مذهل.. وسيم؟ لا.. ليس وسيماً.. إنه رجل.. رجل مذهل الرجولة.. رجل عدواني.

الجسم الرجولي النحيل، الشعر الأسود الفاحم، القصير.. والمظهر الوسيم القاسي.

سأل مات دو كابستراتو بأدب مثير للأعصاب، مقاطعاً أفكار جورجي، ومحدقاً فيها من دون خجل.

ـ هل تشجعين أخاك دائماً بتقييم شخصيات الغرباء، آنسة ميليت؟

علا الاحمرار وجهها، وتنفست بصمت: النجدة! ليخلصني شخص ما من هذا.. ومد يده إليها فأجبرت نفسها على مصافحته، وشعرت بأصابعه تطبق على أصابعها المتوترة الباردة، بقبضة ثابتة قاسية أرسلت قشعريرة دفء في جسدها كله... وفتحت فمها ثم أغلقته، مثل سمكة

ذهبية في وعاء ماء، قبل أن تقول بأنفاس مقطوعة: «لا.. لا.. أنا لا أفعل هذا، طبعاً لا أفعل».

ـ إذن، لماذا فعلت اليوم، ولماذا أنا؟

كان صوته عميقاً.. وقد تحوّلت اللكنة الخفيفة إلى سلاح خطر.

وعجزت جورجي عن التفكير بطريقة منطقية فأجابت: «أنا.. لم يكن من المفترض أن تسمع هذا».

ثم أدركت كم يبدو كلامها غبياً.

رد ساخراً: «لقد أدركت هذا بنفسي».

أوه.. كيف أمكنها أن تكون متهوّرة بهذا الشكل الذي لا يغتفر؟

وغاص قلب جورجي. لم يساعد ثقتها بنفسها أبداً، هذا الرجل الضخم الذي يبلغ طوله ستة أقدام،

قالت بضعف: «كان ذلك مجرد تعبير.. ولم يكن انتقاداً شخصياً أبداً، كما ذكر روبرت».

ـ في الواقع هذا يجعل الأمر أكثر سوءاً آنسة ميليت. حين.. أو يجب أن أقول إذا.. ما تهوّر أحدهم وأهانني، فأتوقع أن يكون السبب وجيهاً.

حسن جداً.. تمهّل قليلاً وسأجد أسباباً عدة.. وأجبرت جورجي نفسها على إطراق رأسها باحترام وهي تقول بصوت مرتفع: «كل ما أستطيع فعله سيد دو كابستراتو، هو أن أعتذر مجدداً».

وهذا بالضبط ما تريده، أليس كذلك؟

ـ هل تعملين هنا؟

وفكرت جورجي بذعر.. فإن ردّت بالايجاب، قد يقضي هذا على أمل روبرت الضعيف في إقناع هذا الرجل بتمويل المعدات الجديدة لفترة قصيرة. لكن، إن ردّت بالنفي وسارت الصفقة على ما يرام، لعرف بعد وقت قصير أنها لم تقل الحقيقة!

وتوصلت إلى حل وسط فأجابت: «مؤقتاً».

ـ مؤقتاً؟

وطالبتها العينان الفتاكتان بتفسير.. لكن روبرت، الذي تعب من تجاهله، تنحنح مطالباً بالاهتمام. لكن مات دو كابسترانو، لم يعره اهتماماً.

ـ هل يعني هذا أنك ستكونين هنا في المستقبل المنظور آنسة ميليت؟

من دون العقد معك، ما من مستقبل. وهذه الفكرة بالذات دفعت جورجي إلى رفع هامتها لتقول وهي تلتقي بالنظرة الرمادية المثلجة مباشرة: «لا.. إذا كنت ترى أن هذا غير ملائم بعد ما قلته، سيد دو كابسترانو».

رفّت عيناه للحظة. لكنها أدركت أنها فاجأته، ثم استدار ليواجه روبرت، وتركت نظرته الثاقبة وجهها الأحمر.

قال ببرود: «جئت اليوم لمناقشة صفقة عمل، وأنا رجل مشغول جداً سيد ميليت.. هل التفاصيل التي طلبت سكرتيرتي تحضيرها جاهزة؟».

ابتلع روبرت ريقه: «موجودة سيد دو كابسترانو، لكن..».

ـ إذن، وبما أننا أضعنا دقائق عدة من وقتي الثمين سدى، أقترح أن نبدأ العمل.

وبهذا قاطع مات دو كابسترانو بحزم صوت روبرت المتلعثم.

يا له من متعجرف، جاهل، لا يحتمل، وجبار.. وتوقّف دفق الأوصاف في رأس جورجي فجأة مع عودة العينين الرماديتين إليها، وسأل برقة: «أرجو ألاّ يكون لديك اعتراض على هذا آنسة ميليت؟».

شيء ما في وجهه جعل جورجي تدرك أنه قرأ أفكارها بوضوح.

ـ وأعتقد أنك سكرتيرة شقيقك.. المؤقتة؟

بطريقة ما، من دون أن تعرف السبب، أحسّت كلامه وكأنه الإهانة.

فردّت بتزمت: «أجل.. هذا صحيح».

تشدق بنعومة: «كم هذا.. مناسب».

سألت بحذر: «مناسب؟».

ـ أن يكون لديك عمل جاهز كهذا، بدلاً من أن تحاربي لتشقي طريقك

في العالم لتثبتي نفسك.

وصدم رده جورجي صدمة عنيفة.

كيف يجرؤ؟ أغضبتها هذه الملاحظة الأخيرة غضباً شديداً، فتراجعت إلى الوراء كنمرة صغيرة، وردّت بحدة: «في الواقع أنا سكرتيرة جيدة سيد كابسترانو».

لقد تدربت كسكرتيرة خلال عطلاتها الجامعية، لتخفف الحمل عن روبرت.. وبرعت في الطباعة والكومبيوتر قبل أن تنال شهادتها في الدراسات التجارية وإدارة الأعمال بامتياز. كما أنّ كل مؤسسة وضعتها فيها الوكالة، طالبت بعودتها.

انزعاجها الواضح، بدا وكأنه يخفف من انزعاجه: «حقاً؟ وهل تدربت على أعمال السكرتاريا في الكلية؟».

حدّقت به غاضبة: «ليس بالضبط».

قاطع روبرت كلامهما بسرعة: «لقد تخرجت شقيقتي من الجامعة منذ سنتين، ونالت شهادة في الفنون والتصميم بدرجة ممتازة».

فقال مات لها وكأن روبرت وسكرتيرته غير موجودين.

ـ إذن، لماذا تضيعين مواهبك في العمل مع أخيك؟ هل هذا سببه عدم الطموح؟ أم القناعة بالوضع الراهن؟ أم الكسل؟ أم ماذا؟

ولم تصدق جورجي أذنيها.

ـ الآن اسمعني جيداً.. أنت..

وأحس روبرت بأنها تكاد تفقد أعصابها، مجدداً فقال بوجه متجهم وصوت أجش: «لقد تركت جورجي وظيفة ممتازة في مجال الإعلان منذ بضعة أشهر سيد كابسترانو.. وهي وظيفة نجحت في الحصول عليها من بين عدد كبير من المرشحين. ولقد فعلت هذا من أجلي فقط، وهي هنا بإرادتها. إذا كان هذا ما تشير إليه.. لقد كانت زوجتي تدير المكتب هنا.. لكن..».

ونسيت جورجي العقد وأيّ شيء آخر، وتفجّر غضبها: «لست

مضطراً لشرح الوضع له».

أنهى روبرت كلامه بهدوء أكبر: «لكنها ماتت منذ ستة أشهر».

ساد صمت مطبق لثوانٍ، وتحركت جورجي نحو روبرت، ووضعت يدها على ذراعه. ولاحظت أن السكرتيرة حذت حذوها مع مات دو كابسترانو، مما دلّ على تقارب معين، وعلاقة وثيقة بينهما.

قال الرجل الطويل الأسمر الواقف أمامهما بهدوء: «لست واثقاً من أن اعتذاري يمكن أن يعوّض عن قلة الإحساس هذه سيد ميليت، لكنني سأكون ممتناً لو قبلته. لم يكن لدي أيّ فكرة عن ظروفك».

ـ لم يكن بإمكانك أن تعرف.

وأحس روبرت أن مات دو كابسترانو يتوق لنفض غبار مؤسسة البناء هذه عن قدميه في أسرع وقت ممكن.

ـ ربما لا. . لكنني وبغير قصد زدت آلامك في هذا الوقت الصعب، وهذا أمر لا يغتفر.

لوّح روبرت بيده: «انس الأمر. لكن هذا ما وضعني في ظروف مختلفة. لقد اكتشفنا هذا الصباح أننا فقدنا عقداً هاماً، اعتقدت أنه سيمول لي أجر عمال إضافيين ومعدات أحتاجها لمشروعك، سيد دو كابسترانو».

ـ أتعني أن التقدير الذي قدمته لي لم يعد سارياً؟

وتحوّل الصوت الليّن إلى لهجة رجل أعمال. وأحست جورجي الواقفة إلى جانب الرجلين، أنها غير مرئية. . ولم يسرّها هذا الإحساس.

رد روبرت بحذر: «ليس بالضبط. . لا زلت قادراً على تنفيذ العمل، بالسعر الذي وضعته، لو كان المصرف مستعداً لتمويل كلفة المعدات وما إلى ذلك. لكن. . ».

أنهى مات دو كابسترانو كلامه: «لكنه لن يفعل. هل تعني بهذا أن أعمالك في ضائقة مالية سيد ميليت؟».

ـ أنا في الواقع مفلس.

لم تستطع جورجي منع شهقتها حين سمعت الوصف الصريح.

وعندها أدار الرجلان رأسيهما بسرعة ومن دون تفكير: «لأنه خصص وقته كله لزوجته حين احتاجت إليه مع ولديهما، سيد دو كابسترانو. . وليس لأنه مقاول سيء. . إنه بنّاء عظيم، أفضل ما يمكن أن تجد. . يمكنك النظر إلى أي مشروع قام به في الماضي و. . ».

احمر وجه روبرت حرجاً.

ـ جورجي. . أرجوك. هذا أمر بيني وبين السيد دو كابسترانو.

فردّت جورجي يائسة: «لكنك بنّاء ممتاز. . وتعرف هذا، لكنك لن تقول. . ».

ـ جورجي.

ولم يكن صوت روبرت مرتفعاً، لكن لهجته أعلمتها أنها تمادت كثيراً.

قال مات دو كابسترانو بنعومة: «أعتقد أنه من الأفضل أن تنتظري في مكتبك آنسة ميليت».

وودّت جورجي أن تتحداه. . ولم تشعر يوماً بمثل هذه الرغبة الجارفة. . لكن شيئاً ما في عيني روبرت أجبرها على الإذعان من دون أن تضيف أيّ كلمة أخرى.

ولأول مرة منذ الطفولة، وجدت نفسها تقضم أظافرها وهي تجلس وراء مكتبها المليء بالأوراق، والباب الموصل إلى مكتب روبرت مقفل تماماً. ولم تسمع سوى همهمة أصوات من الداخل. ومع مرور الوقت، تعاظم خوفها من شر مرتقب.

كم يلزم من الوقت لإتمام عقد والوداع؟ وأحست بالألم. . هل سيفعل؟ الدقائق القليلة في الداخل أظهرت جلياً أن أحداً لم يكلمه بهذه الطريقة من قبل. . ورجل مثله، لا يقبل بمثل تلك الإهانة ويتغاضى عنها. صحيح أنها لم تكلمه حين أهانته، بل تكلمت عنه. . وتأوهت بصوت منخفض. . يا لها ولفمها الثرثار. . أوه. . لماذا. . لماذا وصل في تلك اللحظة بالذات. . ولماذا تركت باب المكتب مفتوحاً ليسمع كل كلمة؟

وروبرت. لماذا لم يطلعها على حال الأمور؟

انفتح الباب فجأة فأجفلها، ورفعت عينيها الخضراوين المتلهفتين لترى مات دو كابستراتو يتأملها، وقد التمعت عيناه الرماديتان القاتمتان.

ـ أحلام بقظة آنسة ميليت؟

رنة صوته توحي بأنه يتودد إليها، لكن جورجي كانت تنظر إلى وجهه.. على عكس الآخرين وراءه. وقرأت ما هو مختلف عما يسمعانه.

ردّت بحلاوة: «طبعاً. وماذا تفعل السكرتيرة المؤقتة غير هذا؟».

ابتسم، وتحرك ليقف إلى جانب منضدتها ويقول: «أنوي أن أتصل بأخيك الليلة من اسكتلندا، بعد القيام ببعض الاستفسارات. وهذه المكالمة مهمة جداً، لذا تأكدي من ألاّ تشغلي خط الهاتف؟».

وفهمت تماماً ما قصده، فردت: «بالتأكيد. سأطلب من أصدقائي ومصفف الشعر، وخبراء التجميل ألاّ يتصلوا بي..».

اشتد ضغطه على فمه، يبدو أن أحداً لا يرد عليه بهذه الطريقة.

ـ سأعمل على أساس جدول ضيق.. لذلك، الوقت مهم.

ـ قطعاً سيد دو كابستراتو.

أسرت النظرة الرمادية عينيها لحظة أخرى ثم، مرّ بها مسرعاً وسكرتيرته وروبرت في أعقابه. وما إن أقفل الباب خلفهم حتى عادت جورجي لتغوص في مقعدها، مطلقة تنهيدة عميقة.. يا للرجل المريع! رجل مريع جداً! وتجاهلت الرائحة الخفيفة التي خلّفها عطره الغالي الثمن، وتأثيرها على أحاسيسها، وركزت على كراهيته.

تناهت إليها الأصوات من خارج المبنى، وقدّرت أنهم يقفون في الفناء الصغير. فوقفت من على مقعدها، وأطلّت بفضول عبر ستارة النافذة.

كان مات دو كابستراتو، وسكرتيرته يصعدان لتوهما إلى سيارة مرسيلس فضية يقودها سائق.. حتى من هذه المسافة بدا مخيفاً. مع أنه لا

يخيفها.. أبداً. لكنه أحد الرجال الذين تبدو عليهم الرجولة بشكل مزعج. هناك هالة من السلطة السوداء تحيط به.. حيوية عدوانية من المستحيل تجاهلها. لكنه سيغادر الآن، وإذا ما حالفها الحظ فلن تقع عيناها عليه مجدداً.

ثم أدركت فجأة ما تفكر فيه، فتلت صلاة ندم سريعة وملحة.. إن عمل روبرت، وحياته كلها مرتبطان بحصوله على العقد من مات دو كابستراتو.. فكيف استطاعت ولو لثانية واحدة أن تتمنى هذا؟ لكنها لم تتمناه.. بل تمنت فقط ألاّ ترى مات دو كابستراتو مرة أخرى. لكن إذا ما حصل روبرت على المشروع، فستضطر إلى رؤيته، هذا إن تابعت العمل هنا. وتنهدت مرة أخرى بصوت مرتفع متوتر.. لقد أوصلها الرجل إلى حالة أعجزتها عن التفكير!

فتح روبرت الباب وهو يبتسم: «حسن جداً! قد نعود إلى العمل مرة أخرى».

ونسيت جورجي كراهيتها لمات دو كابستراتو مع رؤية الأمل على وجه أخيها: «حقاً؟ هل سيساعدنا؟».

بدا واضحاً أن روبرت يحاول لجم تفاؤله، لكنه لم يستطع إخفاء ارتياحه: «ربما.. فهو لم يصرف النظر عن المسألة. الأمر يتوقف على تلك المخابرة الهاتفية الليلة، بعدها سنعرف الرد. سوف يقوم ببعض الاستفسار، ولا ألومه. لفعلت مثله لو كنت مكانه».

رفعت جورجي حاجبيها المقوسين الرائعين: «استفسار؟ مع من؟».

فرّد روبرت بجفاء: «أي شخص يريده. لقد أعطيته لائحة أسماء وأرقام.. مدير المصرف، المحاسب، مؤسسات تعاملنا معها مؤخراً، وما إلى ذلك.. وقلت له إنني سأتصل بهم ليعطوه أيّ معلومات يطلبها. هذا آخر أمل لي جورجي».

ـ أوه روبرت.

لم تكن ترغب في أن يخسر أخاها كل ما يملكه. لكن، أن ينقذه مات

دو كابسترانو! إنها لا تعرفه، وبالكاد تبادلت معه بعض الكلمات، ومع ذلك كرهته أكثر من أي شخص آخر التقته من قبل. حسن جداً، تقريباً، وانتقلت أفكارها إلى «غلين» قبل أن تسدل الستار على ذاك الموضوع.

قال روبرت بهدوء أكبر: «إذن، دعواتك يا عزيزتي. فإن كان الرد سلباً فستهبط بنا كفّة الميزان جورجي.. حتى المنزل مرهون. وبهذا لن يبقى للولدين سقف فوق رأسيهما».

ردت بصوت شرس: «سيكون لهما، وسنسعى لذلك. وسنبقى جميعاً معاً».

لكن شقة صغيرة في مكان ما لن تشبه منزل روبرت اللطيف بحديقته الكبيرة والمنزل الصغير الذي بناه بين الأشجار منذ سنتين للولدين. لقد فقدا أمهما، وكل الأمان الذي جسدته، فهل سيخسران بيتهما أيضاً؟

قال: «ربما».

ونظرت إليه بعناد فابتسم وقال: «دعينا نأمل ألاّ يصل بنا الأمر إلى اقتلاع جذورهما. اسمعي جورجي.. اتصلي بالمصرف أولاً. أرجوك؟ يجب أن أعلمهم، وأشرح لهم أنهم سيتلقون مكالمة من دو كابسترانو.. فلا أريد أن يثير أحدهم أعصابه».

نظرت جورجي إليه بحدة، وارتاحت لرؤيته يبتسم لها، وقالت بضعف: «آسفة على ما قلته عنه. لم أكن أعرف أنه وصل، وكدت أموت رعباً حين رأيته».

هز رأسه ببطء: «أنت وأنا معاً. لقد نسيت أن لا ملل في حضورك، يا أختي الصغيرة».

ـ أوه..

مرّ بقية اليوم بسرعة في غمرة المكالمات الهاتفية وطباعة الرسائل. ومع نهاية بعد الظهر شعرت جورجي بالملل من سماع اسم مات دو كابسترانو. بالأمس كانت حياتها صعبة.. تقتصر على دورها الجديد كأم بديلة، وطباخة، ومديرة منزل، وسكرتيرة لروبرت.. وكتف للبكاء عليه.

لكن غريباً أسمر بغيضاً، جعل حياتها مستحيلة، وبقي روبرت على أحرّ من الجمر طوال اليوم، ولم يتناول أي منهما الغداء.

شيء ما تأكد خلال بعد الظهر المحموم.. إذا منحهما مات دو كابسترانو العمل فستترك وظيفتها هنا في أسرع وقت ممكن وتجد سكرتيرة جيدة لروبرت.. وهي تكسب أجراً أكبر إن عملت في وظائف مؤقتة على أي حال.. وكل فلس تكسبه سيساعد العائلة في الوقت الحاضر. والعمل الحر يعني أنها ستتمكن من التواجد مع الولدين إن مرض أحدهما، من دون أن يقلق روبرت وهو يعمل جاهداً في مكتبه.

عملها السابق، كمصممة لحساب شركة مستقلة في شمالي «واترفورد» يقع في الجهة الأخرى من لندن.. بينما عمل روبرت ومنزله في «سيفنوكس».. لكن هناك استديوهات ومكاتب أخرى.

مهما كان الأمر، ستبتعد عن أيّ فرصة للقاء مات دوكابسترانو..

وهزت رأسها للفكرة، وتوقفت يدها قليلاً فوق لوحة مفاتيح الآلة الطابعة وراحت تحدق في الفراغ، لكنها أجفلت حين رن الهاتف بحدة على مكتبها.

نظرت إلى ساعة يدها وهي تمدّ يدها الأخرى إلى سماعة الهاتف.. إنها الساعة الخامسة، تماماً. إنه هو! وتجاهلت الانقباض السخيف في معدتها، وتنفست بعمق، وقالت بصوت ثابت بارد: «ميليت للبناء، كيف أستطيع أن أساعدك؟».

ـ آنسة ميليت؟ هذا مات دو كابسترانو. هل شقيقك هنا؟

وسرى الصوت العميق في أعصابها المشدودة بلطف، فردّت متصلبة: «حسناً سيد دو كابسترانو.. إنه ينتظر مكالمتك».

ـ شكراً لك.

يا للسماء.. بصوت كهذا يمكنه أن يكتسح نجوم هوليوود! وفكّرت جورجي بهذا محمومة وهي تطلب رقم روبرت الداخلي وتحوّل المكالمة.. ثم أوقفت أفكارها الشاردة عند حدّها بحزم وقد أذهلها

المجرى الذي اتخذته. إنه رجل كريه لا يطاق، وهذا كل ما في الأمر.

سمعت إشارة انتهاء المكالمة. وبعد لحظة، حين انفتح الباب المشترك بابتهاج، عرفت ما جرى. حتى قبل أن يتكلم روبرت عكس وجهه المبتسم نتيجة استفسارات مات دو كابسترانو. لقد حصلوا على العقد.

***

٢ ـ أنت مجرم

ـ ها قد التقينا ثانية آنسة ميليت.

وبالرغم من أن جورجي راحت تقوي عزيمتها طيلة الصباح استعداداً لهذا اللقاء، إلا أن رأسها ارتفع بحدة بحيث أحست بالتواء في عضلات عنقها.

أسبوع كامل مرّ منذ ذلك اليوم حين رأت مات دو كابسترانو للمرة الأولى. وفي أول أيام شهر أيار، كان الصباح جميلاً مشمساً في الخارج، لكن جورجي أحست بأن الحرارة في الداخل قد انخفضت عشر درجات حين التقت بالعينين الرماديتين اللتين تراقبانها بامعان من على الباب.

ـ صباح الخير سيد دو كابسترانو.

لم يكن يرتدي اليوم بذلة فاخرة. بل ثياباً عملية، بنطلون من الجينز الأسود وقميص عاجي شاحب، لكن الهالة التي تحيط به تضاعفت عشرات المرات، وكانت جورجي تعرف أنه سيرافق روبرت إلى موقع العمل، كما سيرافقه المهندسون وعدد من الأشخاص الآخرين.. لكنها لم تكن تتوقع ما فعله القميص المفتوح الياقة والبنطلون الضيق بتوازنها. أرادت أن تبتلع ريقها لفرط توترها، لكنها علمت أن العينين الرماديتين ستسجلان الحركة.. لهذا قالت بصوت أجش: «روبرت ينتظرك إذا أردت الدخول؟».

وأشارت بيدها إلى مكتب أخيها.

ـ شكراً لك.. لكنني أرغب في التكلّم معك أولاً.

أوه.. النجدة! سينهال عليها بالتأنيب لفظاظتها في الأسبوع الماضي. إنه الأمر الناهي الآن، ويعرف هذا.. يمكنه أن يحوّل حياتهما إلى جحيم لو أراد. ورفعت ذقنها الصغير قليلاً، ولم يفضح صوتها توترها الداخلي وهي تتطلع إلى الوجه الأسمر الجذاب، وتقول بهدوء: «أجل سيد دو كابسترانو».

قطع غرفة مكتبها الصغيرة، التي بالكاد تتسع لمكتبها ومقعدها وخزانة الملفات، وبالكاد تستحق اسم مكتب، بخطوة واحدة، ووقف إلى جانبها وهو يقول: «أولاً.. لا أعتقد أنه من الملائم أن نستمر بالتخاطب بلهجة رسمية، بعد أن أصبحنا نعمل معاً.. أليس كذلك؟».

واضطرت جورجي لابتلاع ريقها قبل أن تقول: «إذا كان هذا ما تريد سيد دو كابسترانو».

أكد لها بحزم: «هذا ما أريد.. واسمي مات».

كانت العينان الرماديتان قاتمتين إلى درجة السواد. هذا ما فكرت فيه جورجي بغير منطق. أما رموشه فكثيفة وسوداء حتى بدا من المؤسف أن تكون لرجل. كما بدا أطول مما تتذكره.. وتمكنت أن تقول بأدب: «إذن أرجوك أن تناديني جورجي».

أحنى رأسه قليلاً: «الأمر الثاني هو أنني أحتاج إلى مساعدتك اليوم جورجي.. سكرتيرتي بيبينا، تعرّضت لحادث مؤسف هذا الصباح، ولوت كاحلها. ربما تستطيعين أن تحلّي مكانها في الموقع وأن تسجلي لي الملاحظات!».

أوه.. لا.. لا، لا. لن يمر يوم برفقته من دون أن تعرّض العمل للخطر وتتصرف بشكل أخرق، حقاً لا يمكنها أن تقوم بهذا!

واستجمعت جورجي رباطة جأشها، وقالت بثبات: «ربما من الأفضل أن تسأل روبرت، لأن هذا يعني إقفال المكتب. وهذا غير عملي.. فعماله ينهون عملاً في محل نعيد تجديده، ومن المتوقع أن يتصلوا في وقت ما من بعد ظهر اليوم. كما عليّ أن أرد على الهاتف».

سألها مات بلطف: «هل لديكم مجيب آلي؟».

ـ أجل. لكن..

ـ سيكون وجودك ضرورياً خلال النقاش مع المهندسين.. بعد ذلك ستعودين إلى هنا لتطبعي الملاحظات التي دونتها لي.

أوه.. اللعنة! هل يجب أن تلوي سكرتيرته كاحلها اليوم؟.. وشكّت في أن يتواجد مات دو كابسترانو غالباً هنا، فثري مثله يعمل في أكثر من مشروع. وخلال بضعة أسابيع، سترحل من هنا على أي حال. هذه هي المواقف التي حاولت تجنبها حين قررت أن تجد سكرتيرة بديلة لروبرت. وقالت بضعف: «حسن جداً، كما قلت، من الأفضل أن نناقش هذا الأمر مع روبرت».

قال بإصرار: «وإذا وافق روبرت؟ أستطيع أن أؤكد له أنك لا تعارضين.. أليس كذلك؟».

لا.. وألف لا.

ـ بالطبع سيد.. مات.

ـ شكراً لك جورجي.

لكنته جعلته يركّز على حرف الياء حين لفظ اسمها، واعطته نكهة جديدة تختلف عما اعتادته. وكانت تقاوم ردّ فعلها وتأثيره حين ضاقت عيناه القاسيتان وقال:

ـ لست معجبة بي جورجي.

كان كلامه تصريحاً وإقراراً بالأمر الواقع وليس سؤالاً. لكن: جورجي فقدت قدرتها على الرد، بسبب دهشتها.

تابع بنعومة: «هذه ليست مشكلة».

وانتقلت نظرته إلى ذهب شعرها القاتم، المنسدل على كتفيها كالحرير، قبل أن يضيف: «إلا إذا جعلت منها مشكلة، طبعاً».

ـ أنا.. الأمر..

وأدركت فجأة أنها تدمدم متلعثمة، فاستجمعت شجاعتها مما جعل

صوتها يقوى وتفكيرها يجلو.. لو ظن أنها عديمة الشخصية، وستدعه يتحكَم فيها لأنه يؤمّن لهم العمل، فهو مخطىء! ليست كبش فداء لأحد.. وردت بقوة: «أنا لا أنوي أن أجعل منها مشكلة».

ـ هذا جيد.

اشتد ضغط جورجي على فمها الرقيق حين أحست بما يشبه الضحك في صوته.. مع أن وجهه لم يكن يعكس أيَ مرح.. وقاومت لتبقى رنة صوتها هادئة وباردة: «في الواقع، أنا لا أتوقع أن أعمل مع روبرت لوقت طويل.. ومن الأفضل أن أؤمّن له سكرتيرة أخرى كي أتمكن من توزيع وقتي بين العناية بالولدين والعمل الحر. لذا أشك في أن نلتقي مجدداً».

وتملكها الرعب حين جلس على زاوية المنضدة، ودفء جسمه يملأ المكان، وقال: «آه، الولدان.. كم عمرهما؟ هل يستوعبان ما جرى؟».

تلك الرائحة الزكية التي تفوح من الجسم الأسمر القوي، تترك أثراً غريباً على كيانها. لكن سرّها ألاّ تظهر محنتها الداخلية في صوتها وهي ترد بهدوء: «التوأم في السابعة من العمر. وهما يتغلبان على مشاكلهما بشكل جيد. لديهما الكثير من الأصدقاء.. ومعلمتهما في المدرسة كانت أفضل صديقة لساندرا، أمهما. ولهذا فهي لطيفة جداً معهما».

سأل بهدوء ورأسه يميل جانباً ويقترب منها قليلاً، مما جعل ضربات قلبها تتسارع: «وأخوك؟ كيف يتصرف؟».

تنحنحت جورجي تجلي حنجرتها.. يمكن لأيّ كان أن يجلس على منضدتها طوال اليوم، من دون أن تتحرك شعرة في رأسها ومن دون أن تراودها أيّ أفكار، لكن مات دو كابسترانو ليس أيّ كان.

قالت بهدوء: «طبعاً، روبرت مدمر. كانت ساندرا عالمه كله. لقد عرفا بعضهما منذ الطفولة، وبعد الزواج عملا معاً.. فأصبحت حياتهما أشد ترابطاً».

هز رأسه ببطء: «أفهم هذا».

وتساءلت جورجي عما إذا كان يعي كم يبدو مثيراً حين تضيق عيناه

هكذا.

ـ مثل هذا الإخلاص غير عادي. وقد يقول المرء إنه مميز في هذه الأيام، مع عصر زواج «السوبر ماركت».

سألت بحيرة: «زواج «السوبر ماركت»؟».

رد في تفسير ساخر: «حيث يجرب المرء صنفاً لفترة قبل أن يشتري آخر، ثم آخر، ويستفيد المحامون أكثر من غيرهم بالطبع».

اعترضت جورجي بثبات: «ليس كل زواج هكذا. بعض الناس يقع في الحب، مدى الحياة».

ثبتت العينان الرماديتان بنفاذ أكبر على وجهها، وبدا اللمعان المعدني فيهما ساخراً: «لا تقولي لي إنك رومانسية».

كانت رومانسية ذات يوم.

وقالت بصوت بارد: «لا.. لست رومانسية.. لكنني أعرف أنّ ما كان بين ساندرا وروبرت، هو حب حقيقي، وهذا كل ما في الأمر».

لم تستطع أن تقرأ التعبير الذي ارتسم على وجهه. لكن حين فتح فمه ليتكلم، فتح روبرت باب مكتبه، ووجهه يعكس ابتسامة دافئة، وقال: «ظننت أنني سمعت أصواتاً. أدخل مات.. هناك نقطتان أودّ أن أناقشهما قبل أن نغادر».

وعندما أقفل الباب خلف الرجلين تهاوت جورجي على مقعدها لحظة.. شعرت أن هذا اليوم سيكون يوماً مشهوداً!

كانت تعتمد على هدوء المكتب بعد أن يخرج روبرت إلى الموقع لتنظِم حفلة عيد ميلاد التوأم. فقد أدركت، وروبرت، في الليلة الماضية أن عيد ميلاد الولدين بعد أسبوعين، ولم يفكر فيه أحد منهما. لطالما كانت ساندرا تعلّق أهمية كبرى على عيد ميلادهما، وأرادت جورجي أن تحافظ على الأمور كما هي. ولأنها لم تستطع مواجهة فكرة تجمّع العائلة والأصدقاء في المنزل، فكرت في استئجار قاعة في مكان ما.

قاطع جرس الهاتف أفكارها، وبدا صوت روبرت متوتراً: «جورجي؟

هل يمكنك أن تحضري لنا القهوة؟ ثلاثة فناجين إذا سمحت، وأحضري دفتر الملاحظات. أريدك أن تحضري الاجتماع».

ماذا؟ وأخذت تفكر وهي تحضر أفضل الفناجين، وعلبة من البسكويت بالشوكولا التي يحبها شقيقها. لقد فقد الكثير من وزنه في الأشهر الأخيرة، وهي تحاول أن تغذيه منذ وصلت بيته.

ما إن جهزت القهوة، حتى سوت تنورتها ورتبت نفسها، وزررت ياقة البلوزة، وحضرت نفسها للحظة مواجهة تلك العينين الرماديتين الثاقبتين.. منذ بدأت تعمل مع روبرت، واظبت على تحسين هندامها، لكنها اليوم اعتنت بزينتها أكثر من العادة. وفي هذه اللحظة بالذات، اعترفت بذلك، مما وتّر أعصابها، وأزعجها.. لا يهمها رأي مات دو كابسترانو بها، فهو مجرد ظل عابر في حياتها، وغير هام أبداً..

كان ذلك الظل العابر المؤقت، يجلس مسترخياً، وذراعاه ممدودتان على ظهر المقعد المريح في مكتب روبرت حين دخلت. وأجبرها رد فعل جسدها على أن تعترف بإحساسها بوجوده. وزاد اضطراب جورجي حين تنبّهت إلى أن رجولته واضحة بسبب عفويته اللاواعية. وبعد تقديم القهوة وطبق البسكويت لهما جلست وضمّت يديها في حجرها بعد أن وضعت فنجان قهوتها في مكان يسهل الوصول إليه. لن تتململ، أو تثرثر، أو تتعامل مع مات دو كابسترانو، حتى وإن قتلها هذا.

قال روبرت بصوت متوتر: «إذن.. أنت تعتقد أن ماينز وجنسن يجب أن يتقاعدا؟».

وأشار بهذا إلى عاملين مسنين كانا مع روبرت منذ أسس شركته قبل أربع عشرة سنة.

نسيت جورجي كل شيء عن عدم التعامل معه، وتراجعت في مقعدها وهي تقول: «ماذا؟ جورج ووالتر؟».

كانت تعرف الرجلين قبل أن تعيش تحت جناح روبرت.. ولطالما عاملاها كحفيدة لهما. في أول صيف لها مع روبرت وساندرا، ولشدة

حزنها على أبويها، اصطحبها والتر وزوجته معهما إلى فرنسا مدة أسبوعين في محاولة لصرف تفكيرها عن موت والديها المفاجىء، وتصرفا بشكل رائع معها.

ـ لا يمكن..! لا يمكنك التخلّص منهما.

ضاقت العينان الرماديتان فجأة، وقطب سائلاً: «عفواً؟».

فقالت جورجي بمحبة: «إنهما بمثابة عائلتنا».

رد ببرود: «العائلة أمر جيد. لكن العمال غير الكفوئين عبء. لقد تجاوز والتر جنسن سن التقاعد وتجاوز جورج ماينز الخامسة والستين منذ سنة».

أرسلت عيناها الخضراوان شرراً: «إنهما عاملا بناء ممتازان!».

قال دونما اكتراث: «إنهما بطيئان جداً.. وهذه ليست مؤسسة خيرية للمسنين.. لا شك أن أخاك خسر الآلاف في السنوات الأخيرة وهو يتحمل عبء عمّال مثل ماينز وجنسن. وأنا لا أشك في خبرتهما أو نوعية عملهما، لكن جنسن تغيّب بسبب المرض أكثر مما عمل في السنة الأخيرة.. إنه مصاب بالتهاب المفاصل أليس كذلك؟».

والتفت إلى روبرت متسائلاً، فهز روبرت رأسه بحزن.

ـ كما أن النوبة القلبية التي أصيب بها ماينز السنة الماضية، أبطأت عمله واعتقد أنه يشكل خطراً على نفسه وعلى الآخرين، لا سيّما حين يعمل على «السقالة». وإذا أوقع شيئاً من على هذا الارتفاع يمكن أن يقتل أو يؤذي أي مار.

نظرت إليه بغضب: «لا أصدق هذا! إنهما محترفان».

ـ إنهما محترفان عجوزان، ولقد حان الوقت لإدخال دم جديد إلى العمل.. مهما كان هذا مؤلماً.

ردّت بقسوة متجاهلة إشارات روبرت المذعورة وهي تقف على قدميها بحدة: «وبالطبع هذا يؤلمك كثيراً! عجوزان عزيزان..».

وضبطت أعصابها مع ازدياد حدة العينين الرماديتين وأكملت:

«رجلان عزيزان كانا الصخرة التي قامت عليها هذه المؤسسة، يرميان كالقطع المهملة. أيّ مكافأة هذه على إخلاصهما لروبرت وعائلته؟ لكن الإخلاص لا يعني شيئاً لرجل مثلك، أليس كذلك؟ لقد كسبت ملايينك، وأنت سعيد بها، لكنك لا تزال تتوق لأكثر، حتى وإن عنى ذلك التضحية برجال مثل والتر وجورج».

حافظ على جلسته المسترخية، لكن عينيه الرماديتين بدتا خطيرتين وهما تتأملان وجه جورجي الأحمر: «هل انتهيت؟ اجلسي إذن آنسة ميليت».

ـ لا أعتقد..

ـ اجلسي!

الصيحة الخشنة جعلتها تجفل، وأحست أن ساقيها تطيعانه بالرغم منها.

قال بصوت أجش بارد: «أولاً، لقد أوضح لي شقيقك ما يدين به لهذين الموظفين. وسيتقاعدان مع مبلغ سخي.. وأعتقد، كما يعتقد روبرت إذا قال الحقيقة، أن هذا لن يفاجئهما.. ثانياً، أنت تتكلمين عن التضحية، في حين أنك على استعداد لأن تعرّضي عمال أخيك الآخرين للخطر من أجل رجلين عجوزين كان عليهما أن يتقاعدا منذ سنوات؟».

صمت قليلاً، وأكمل: «من الطبيعي أن يكيّف بقية العمال سرعتهم مع أبطأ العمال حين يتقاضون راتباً محدداً في نهاية الأسبوع.. كان عمال أخيك دون المستوى المطلوب لسنوات، ومنذ أسبوع كانوا معرّضين للبطالة، فإن أفلس روبرت، خسر الجميع. ولا مكان للضعف في عالم الأعمال، ويجب أن تعرفي هذا».

قالت: «واللطف؟ ماذا عن اللطف والعرفان بالجميل؟ كيف سيشعران بعد أن يقال لهما إنهما كبيران جداً في السن؟».

ـ إنهما يعرفان تاريخ ميلادهما أكثر من أي شخص آخر، لذا فأنا أشك في أن يفاجئهما الأمر كما تظنين.

طوى ذراعيه على صدره، واستقر بارتياح أكبر في مقعده، يتفحص جسمها المتصلب ووجهها المتوتر بعينين ضيقتين.

لم ترد جورجي على الفور، ثم قالت بصوت يرتجف قليلاً بعض الشيء: «أعتقد أن ما تطالب به روبرت أمر فظيع».

مال إلى الأمام في مقعده، وارتشف قهوته دفعة واحدة: «إذن لا تعتقدي شيئاً».

واستدار إلى روبرت: «أقترح أن تغتنم الفرصة لتحضّر الرجال لعمل على أساس المقاولة. مع هدف محدد لكل أسبوع ومكافآت جيدة عند زيادة الانتاج..».

نظرت جورجي إلى أخيها، تطالبه بأن يقف في وجه هذا الطاغية..

لكن روبرت هز رأسه مفكراً وقال بهدوء: «كنت أفكر بالأمر نفسه».

قال مات بهدوء: «عظيم، اتفقنا إذن. والآن، أطلب من جورجي أن تسجّل النقاط التي تحتاج للمراجعة في الموقع، ولننطلق».

ونظر إلى الحذاء العالي الكعبين الرقيق في قدميها: «هل لديك حذاء آخر غير هذا؟».

لم تكن تنتعل هذا الحذاء إلى المكتب عادة، لكنه يتناسب مع التنورة الرمادية التي ترتديها، ويبرز ساقيها، أيّ أجمل ما فيها.

كانت جورجي لا تزال مضطربة من المواجهة، ومرّت ثوانٍ قبل أن تقول بصوت حاد: «لم أكن أعرف أنه من المتوقع مني أن أرافقكما إلى موقع العمل هذا الصباح، لذا، لا أحمل معي حذاءً آخر».

قال روبرت: «هناك حذاء مناسب في صندوق سيارتي. لقد وضعنا أحذيتنا هناك حين أخذنا الولدين إلى النهر في نهاية الأسبوع، ألا تذكرين؟».

على الأرجح لم يفهم أخوها لماذا نظرت إليه بغضب.. وقالت بصوت بارد: «شكراً لك روبرت».

ستبدو عظيمة جداً.. أليس كذلك؟ قميص حريري بلون الجاد

الأخضر، باهظ الثمن، وتنورة أنيقة، مع حذاء ثقيل، عالي الساقين. أمر رائع، وهذا.. هذا اللئيم، يجلس راضياً عن نفسه وعيناه الرماديتان الكريهتان تقيّمانها. إنه الملام على ما جرى، ويستمتع بانزعاجها. ولم تكن مضطرة للنظر إليه لتدرك ذلك.

حين خرجت جورجي من سيارة روبرت القديمة في الموقع، لم تكن تفكر بمظهرها.

كان موقع «نيوبوتل ميدو» كما أسماه الأولاد، أرضاً زراعية قديمة، ترعى فيها الماشية، حين جاءت جورجي لتعيش مع أخيها وزوجته. كانت المنطقة كلها ريفية.. لكن المدينة زحفت إليها، وابتلعت مئات الأميال، فأصبح «نيو بوتل ميدو» على أطراف البلدة. لكن الموقع حافظ على جماله.

وقفت جورجي تنظر إلى الحقول الممتدة أمامها المليئة بالعشب المزيّن بالزهور والفراشات، وأرادت أن تبكي. على حدّ قول روبرت، اشترى مات دو كابستراتو هذه الأرض منذ عشر سنوات، وكانت حينذاك لا تزال رسمياً أرضاً زراعية. وتمكّن لاحقاً من اقناع السلطة بوجهة نظره، وكان يعلم أنه سيتمكن من ذلك في النهاية.. وبهذا ضمن أرباحاً مضاعفة بتحويل هذه الأرض الزراعية إلى مساكن كالتي يقترح بناءها.

مادي! وتنعمت جورجي بشمس آيار التي جعلت زهور العسل ذهبية مشرقة، والعشب أخضر، وابتلعت الدموع التي هددت بالانهمار.. الأرانب تعيش على هذه الأرض والثعالب، والفراشات. لقد أمضت مع أصدقائها ساعات سعيدة في هذه المروج، إذ لطالما خيّموا فيها أياماً.. الآن سيزول كل هذا.. سيشوه.. ومن أجل مال قذر. لكن هذا يعني إنقاذ شركة روبرت، وإنقاذ أخيها.. فخسارة عمله بعد زوجته مأساة رهيبة.

عضت جورجي شفتها بقوة وهي تستدير لترى سيارة مات دو كابستراتو، اللمبرغيني الحمراء تتوقف بنعومة على بعد خطوات منها. يبدو أن المرسيدس وسائقها في إجازة اليوم.. عليها أن تفكر بروبرت

ولديه وسط كل هذا. مثلها العليا، والحقول التي لم تفسد بعد، والحياة البرية، ليست بأهمية دايفد وآني وروبرت.

ـ يمكنك تحويل الحليب إلى لبن رائب بمثل هذا الوجه.

ـ ماذا؟

أجفلت لإهانة مات المتشدقة بحيث فغرت فمها في وجهه.

قال بهدوء: «إنسي أمر ماينز وجنسن. لقد اتخذ القرار».

واتجهت عيناه إلى روبرت، الذي انضم إلى الرجال الآخرين.

ردت من دون تفكير: «لم أكن أفكر بجورج ووالتر».

نظر إليها غير مصدق: «لا؟».

ـ لا.

سأل بنعومة: «بماذا إذن؟ لمَ هذه النظرة الضارية والرغبة في أن أدفن تحت التراب؟».

ـ لم أكن.

وصمتت، لعلها فكرت في الأمر، لكنه لن يفهم ولو بعد مليون سنة.. فإن قالت أي شيء قد يفقد روبرت العقد، وسيستخدم مات دو كابستراتو بكل بساطة، متعهد بناء آخر.. وستصبح الأبنية حقيقة واقعة على أي حال.. وأنهت كلامها بضعف: «لا يهم».

ـ جورجي.

وأدارها إليه قبل أن تعترض، ورفع ذقنها بيده وراح يتأمل لون عينيها الأخضر.

ـ أخبريني.. أنا ولد كبير، يمكنني أن أتحمل.

ودفعتها السخرية الواضحة إلى الرد. إنه يسخر منها مرة أخرى، فتصلبت جورجي، وتحوّلت عيناها إلى نار خضراء.

ـ سوف تفسد هذه الأرض الجميلة، وتشوهها، وأنت لا تهتم. أليس كذلك؟ ليس لديك روح.

للحظة حدق فيها بذهول، ولاحظت بشيء من الرضى، أنها تمكنت

من أن تصدمه.

وجأر بصوته الهادىء: «ماذا؟».

قالت بحدة: «كنت ألعب هنا وأنا طفلة.. وأخيم مع أصدقائي ونمرح.. وهذه الأرض واحدة من الأماكن القلائل التي لا تزال برية حقاً، وجميلة، ويقصدها الناس للتنفس.. ألا ترى؟ سوف تدمرها. ومعها كل الحياة البرية والجمال..».

قال بنفاذ صبر: «اعتاد الناس المجيء إلى هنا لأنني لم أمنعهم. كان يمكن أن أسيّجها، لكنني لم أفعل».

فردت بسرعة: «لأن هذا يشكل إزعاجاً كبيراً لك».

نظر إليها غير مصدق فعلاً: «يا للاحتجاج الصارخ! أليس هناك نهاية لجرائمي بالنسبة إليك؟ ألا تريدين أن يبني روبرت هذه الأملاك؟».

نظرت إليه بغضب: «بالطبع أريد.. ولا أريد! كيف أريد وأنا أنظر إلى كل هذا وأرى أن الأرض بعد بضعة أشهر ستكون مليئة بالجرافات والتراب والمنازل الصغيرة الجميلة لأناس يعتقدون أن آخر التصاميم وسيارات المرسيدس هي كل ما يهم في الحياة؟ لكنني لا أريد أن يخسر روبرت فرصته في تحسين أحواله.. أنا أحبه ولقد عمل جاهداً ومر بمتاعب كثيرة.. لذا بالطبع، أريده أن يحصل على العقد».

أغمض عينيه لحظة بطريقة أفصح من الكلمات، وكرهته لنقده الذي لم يتفوه به، إنها تفكر بسخافة، بغير منطق، ومن دون تعقل.. لكنها لم تستطع منع نفسها. أرض المروج هذه لها أثر عميق عليها منذ وفاة والديها.. الهدوء، والأمان، واستمرارية الحياة هنا، عنت لها الكثير.. والآن، كل هذا سيمحى.

كما استقبلتها هذه المروج بعد حادثة غلين.. وكانت تمد لها ذراعيها مرحّبة وهي تسير في دروب طفولتها. وتركت أصابعها تلهو على العشب والزهور البرية الممتدة إلى ما لا نهاية في عالم انقلب فجأة رأساً على عقب.

وفجأة تلاشى كل الغضب وأحست بأنها عادت طفلة مرة أخرى..

وقالت: «أنا آسفة.. إنها ليست غلطتك.. ليس تماماً».

قال شيئاً بالإسبانية كانت واثقة من أنه بذيء، ثم قال بالإنكليزية، وبلهجة ساخرة عميقة: «شكراً لك جورجي. جعلت شعوري يتحسّن».

سألت بلهفة: «لن تسحب العقد من روبرت بسبب غضبك مني؟».

اشتد ضغطه على فمه أكثر. وتحوّلت اليد تحت ذقنها إلى قبضة قاسية وهو ينظر إلى العينين المحدقتين فيه، ثم قال بنعومة: «أعتقد أنك تعرفين أنك تهينينني».

ورأت تحت القميص الحريري الناعم ظلاً سوداً، وافترضت أن صدره مغطى بالشعر.. وتناسب هذا بطريقة ما، مع عطره الرجولي.. مع أن مات دو كابسترانو أجنبي مهدد ومثير في آن واحد. ولم تشأ مواجهة التهديد أو الإثارة.. إنها تريد فقط.. ماذا؟ لم تعد تعرف ماذا تريد.

ـ جورجي؟

وتناهى إليها صوت روبرت ينادي، رغم الأحاسيس التي ضجت في أذنيها حين أمسكت بها يده لحظة أخرى، وتأملت عيناه وجهها المرتبك.

ثم ابتعد عنها وهو يجيب بصوت عادي لا يغتفر له.

ـ نحن قادمون يا روبرت.. كانت جورجي تتذكر طفولتها هنا.. لا بد أنها كانت أيام حلوة.

يا لنزعته المادية!

***

٣ ـ عرض وطلب

أحست جورجي أن من الحكمة البقاء بعيدة عن الأضواء لما تبقى من ذلك الصباح، فراحت تسجل الملاحظات بهدوء وهي تسير متثاقلة وراء الرجال بحذائها المرتفع الساقين والمزعج. وحرصت على ألاّ تلتقي عيناها بعيني مات أبداً، حتى عندما كلّمها.

قال ببساطة: «شكراً لك جورجي. . عملك هنا انتهى. . سوف نفتش عن مكان للغداء قبل أن ننهي عملنا بعد الظهر. . فهل تودّين الانضمام إلينا؟».

نظرت إلى نقطة ما من عنقه السمراء، وقالت بهدوء: «لا أظن ذلك. لدي عمل أقوم به في المكتب».

احتج بنعومة: «لكن، عليك أن تأكلي؟».

ـ جئت معي ببعض السندويشات، سآكلها في مكتبي.

ـ كم هذا جاد منك.

يا للئيم الساخر! وردّت بتوتر: «عليّ أن أتصل ببعض الأشخاص وأحضر لحفلة عيد ميلاد ولدي روبرت. كنت مشغولة جداً في الأسابيع الأخيرة، ولم يخطر في بالنا أنهما سيبلغان الثامنة من عمرهما بعد أسبوعين. وأريد أن يكون عيد ميلادهما مميزاً قدر المستطاع».

هز رأسه حين رفعت رأسها أخيراً، ثم سأل، وكأنه مهتم فعلاً: «وما هي خططك؟».

فكرت جورجي ساخرة: ليس مهتماً بالتأكيد. ولماذا يهتم مليونير

كبير مثل مات دو كابسترانو بحفلة عيد ميلاد ولدين في الثامنة من عمرهما؟ فردت من دون اهتمام: «قاعة كبيرة في مكان ما وألعاب وما إلى ذلك».

ـ آه أجل ألعاب.

نظر إليها، وعيناه الثاقبتان تلمعان كالمعدن تحت أشعة الشمس.

ـ أولاد أختي يتمتعون بمثل هذه الأمور كذلك.

وذهلت، فلم تتصوره أكثر من رجل أعمال متكبر بارد. لكن لديه بالتأكيد عائلة. . لقد ذكر روبرت منذ أيام أن مات دو كابسترانو ليس متزوجاً، لكن هذا لا يمنع أن يكون له ابناً أو أخاً. . وسارعت أن تقول بهدوء: «الأولاد متشابهون في كل مكان».

ـ هذا ما يبدو.

والتفت إليها لثانية أخرى قبل أن يستدير لينظر إلى روبرت البعيد قليلاً، والذي لا يزال مستغرقاً في الحديث مع رئيس المهندسين. وقال من دون تعبير: «سأوصلك إلى المكتب بينما ينهي الآخرون عملهم هنا ثم ألاقيهم في المطعم».

ـ لا.

وكان ردها سريعاً جداً، وغريزياً جداً، وأدرك كلاهما ذلك. أحست جورجي أن خدّيها علاهما الاحمرار وقالت بانفعال: «أعني، لا أريد أن أتسبب لك بمشكلة وروبرت لن يمانع. . حسناً، أستطيع أن آخذ سيارته ويستطيع الذهاب معك. .».

ـ ما من مشكلة جورجي.

الكلمات بحد ذاتها لم تكن تعني شيئاً. . لكن الطريقة التي قيلت فيها، أفهمتها بوضوح شديد أنها أزعجته مرة أخرى، وهو مصمم الآن على أن ينفذ ما يريد. . كالعادة.

هل تستطيع الرفض؟ والتفتت إلى وجه روبرت المفعم بالحيوية، لا. . لا يمكنها الرفض.

قالت بصوت ضعيف: «إذا كنت واثقاً من أنك لا تمانع».

وقاومت لتتصرف وكأن الحديث طبيعي، لا حديث يكاد ينفجر وكأنه بندقية محشوة.

انحنى نحوها، وقال بنعومة، إنما بجدية: «سيكون من دواعي سروري.. وكلانا يعرف هذا».

لم تستطع جورجي التفكير بما يمكن أن تقوله.. لهذا وقفت إلى جانبه بإذعان وهو ينادي روبرت ليعلمه أنه سيلاقيهم في مطعم الفارس الأبيض بعد أن يوصل جورجي إلى المكتب. وتحركت عيناها إلى سيارة اللامبرغيني الحمراء، المركونة إلى جانب الطريق. لم تركب سيارة لامبرغيني من قبل، كما لم ترَ واحدة عن قرب. وبما في مناسبة مختلفة، ومع سائق مختلف، كان يمكن أن تستمتع بالفخامة. لكن السيارة مثل سيدها، تثير اضطرابها.

وتملكها هذا الإحساس أكثر حين وجدت نفسها في المقعد الأمامي، ومات يقفل الباب بلطف وراءها، فأحست وكأنها محاطة بشرنقة من الجلد والمعدن.. على أي حال، هذه الأحاسيس لا يمكن أن تقارن بمشاعرها حين صعد مات إلى السيارة.

الاضطراب في معدتها تسبب باحمرار وجهها، وعرفت هذا. لكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً، حين استدار مات إليها وقال بهدوء، لكن مع شيء من المرح في صوته: «هل ترغبين في نزع هذا من قدميك؟».

وأشار إلى الحذاء المرتفع الساقين، الذي يكاد يصل إلى ذقنها، فأجفلت بتوتر.. كم يلائمه أن يشير إلى مظهرها السخيف.. وفهمت من تلميحه أنه لا يجدها جذابة.. لكن هذا مناسب جداً.

أجبرت نفسها على أن تنظر إليه بتعالٍ وترد: «لا».

ثم تمنت من كل قلبها لو لم تفعل، فلقد كان قريباً جداً منها.

عرض عليها المساعدة: «أستطيع أن أستدير إلى ناحيتك وأساعدك على خلعه إذا كان هذا صعباً عليك مع هذه التنورة الضيقة».

وأحست أنها علقت في الفخ: «لا.. أنا بخير هكذا».

ونظرت بعزم إلى الخارج.

فقال بهدوء: «جورجي.. نحن في منتصف النهار، وسأعيدك إلى المكتب.. ألا يمكنك أن تسترخي في صحبتي دقيقة أو اثنتين؟ أعدك بألاّ أنجرف نحو طريق مهجور وألاّ أتصرف معك بخبث، حتى وإن كنت تعتبرينني خليطاً من «المركيز دوساد» و «أدولف هتلر»».

صدمت والتفتت إليه مجدداً، لتقول بسرعة: «لا أظنك ستفعل هذا.. وبالطبع لا أعتبرك واحداً من هذين الرجلين!».

ـ لا؟

ـ لا.

رفع حاجبيه، لكن ولارتياحها الشديد، أدار المحرك، الذي هدر بنعومة وطاعة فورية.

أعادت نظرها إلى الزجاج الأمامي، لكنها لاحظت المرح البادي على فمه القاسي. يبدو أنه يستمتع باضطرابها. ولكي تظهر له أنها تسيطر على أعصابها، قالت بتكلف: «إنها سيارة لطيفة».

رد وكأنها قالت ما لا يغتفر: «لطيفة؟ جورجي، الصالونات العائلية لطيفة، وكذلك العمات والخالات العانسات. وزوار حديقة الحيوان والكثير من الأشياء غير البارزة في هذا العالم. لكن، اللامبرغيني..».

وصمت بما يكفي ليؤكد وجهه نظره: «.. لا تندرج في مثل هذا التصنيف».

لقد أزعجته. عظيم! وأحست بالارتياح لأنها اخترقت جلده السميك، وقالت: «حسن جداً.. هكذا أراها. فالسيارة سيارة على أي حال. كتلة من معدن توصلك بسرعة من نقطة إلى أخرى.. وهي ضرورة عملية».

ـ لن أرد على هذا.

قالت تكذب بهدوء: «أنا آسفة إذا أغضبتك».

- بالطبع أغضبتني.

صوته الأجش وتر أعصابها فرمقته بنظرة قصيرة أخرى. كان قد رفع كمي قميصه في وقت ما من الصباح، فبرزت عضلات ذراعيه، المغطاة بشعر ناعم أسود، أما ياقة قميصه المفتوحة، فقد أظهرت كتفين عريضتين جداً. بدا جسده رجولياً عدوانياً، يستحيل على أيّ أنثى أن تتجاهله.

السيارة الرائعة، الرجل الذي يقودها بكفاءة، أشعة شمس أيار المشرقة المتسللة من بين الأشجار الممتدة على طرف الطريق... من نسج الخيال والأحلام. وفكرت جورجي بنفسها... يبدو مات دو كابسترانو أعظم من الحياة بحد ذاتها، ، وهو لا يعي هذا أبداً.

سألت بحذر بعد مرور دقيقة كاملة من الصمت: «هل المرسيدس وهذه السيارة لك؟».

- وهل هذا مسمار آخر في نعشي؟

المثل الإنكليزي الصرف، والصوت ذو اللكنة، تسبب في إجفالها قليلاً، وقالت بهدوء: «لا أعرف ماذا تعني».

فرّد بهدوء مماثل: «أظنك تعرفين».

- الآن، اسمع..

مهما كان ما أوشكت أن تقوله، فقد انتهى بصرير حاد وهو يركن السيارة إلى جانب الطريق ويطفىء المحرك.

سألته بتوتر: «ماذا تفعل؟».

قال بنعومة: «أريد أن أنظر إليك وأنا أكلمك. هذا كل ما في الأمر، لذا لا تخافي أيتها الفأرة الإنكليزية الصغيرة».

- فأرة؟

لا يمكنه أن يقول شيئاً أسوأ من هذا، فالتفتت إليه بحدة، لترى ابتسامة ترتسم على شفتيه الصارمتين. وعرفت أنه يمازحها.

ثم تلاشت الابتسامة وهو يقول: «أعتقد أنّ علينا إخراج بعض الأشياء إلى العلن، جورجي».

- حقاً؟

لكنها لا تعتقد هذا.. لا تعتقد أبداً. ليس هنا وكل تأكيد، في هذه السيارة المترفة، حيث لا يبعد عنها كثيراً، ولا مكان تهرب إليه. ما كان عليها أن تعاديه.. واعترفت بهذا إنما متأخرة جداً.

قال بهدوء: «أنت تعتبرينني عدواً، وهذه ليست الحال أبداً. إذا فشل أخوك، فسأفشل أنا، وإذا أبلى حسناً فهذا جيد لي أيضاً».

العدوانية التي انبعثت إلى الحياة منذ وقع نظرها عليه، والتي لم تضعف منذ ذاك الحين، لا علاقة لها بروبرت بل بها هي فقط. ونظرت مفكرة إلى العينين الرماديتين المعدنيتين وهما تضيقان بسبب الشمس.. لكن، من الصعب أن تعترف بهذا. وهكذا، تمكّنت من أن تقول بهدوء: «هذا العمل هو كل شيء بالنسبة لروبرت.. ومصالحك هنا نقطة صغيرة في محيط واسع من امبراطوريتك، وخزائن مالك بالكاد ستتأثر إن فشل هذا المشروع.

- لم يفشل أيّ من مشاريعي من قبل.. ولا أنوي أن يكون مشروعي مع أخيك الأول. أضيفي إلى هذا..

وصمت.. فقالت جورجي: «أجل؟».

أكمل بهدوء: «كما أنك تقللين من قدراته».

اعترضت: «أؤكد لك أنني لا أفعل هذا، روبرت لا يخفي سراً عني..».

- لم أكن أتكلم عن القدرات المالية.

- إذن.. ماذا؟

مد ذراعه على ظهر المقعد واستدار ليواجهها، فأصبحت أعصابها مشدودة كأوتار البيانو.. مع أنها لم تتوقع أن يسيء التصرف. فقد أخبرها روبرت أن نساء كثيرات، جميلات ورائعات، يلاحقن مات دو كابسترانو طوال الوقت، وأنه قادر على الانتقاء. لكنها لم تكن تثق بنفسها وهي معه. وبدا لها أنها ما أن تلتقيه حتى تجعل من نفسها أضحوكة له، إنه

شخص يثير القلق.

كررت سؤالها بعد لحظة أو اثنتين: «ماذا تعني؟».

ـ لديه أنت.

ـ أنا؟

وحاولت أن تضحك، لتخفف من وقع الحديث الطويل.. لكن صوتها بدا أشبه بالصرير.

ـ أجل.. أنت.

لم يلمسها، في الواقع لم يحرك عضلة واحدة، لكنه وصل بها فجأة إلى موقف حميم يثير الأعصاب، ووجدت نفسها تفكر. فكيف بالنسوة اللواتي يجذبنه. لا عجب في أنهن يتحلقن حوله.. ويسعين لإرضائه...

وصدمتها أفكارها فقالت: «يعتمد عليّ أحياناً كما تعرف تماماً».

ردّ بهدوء: «لا أعرف شيئاً من هذا، كيف يمكن النظر إلى الصدق والمثاليات بهذه الطريقة؟».

تمنت لو يتوقف عن النظر إليها.. تمنت لو يدير محرك السيارة مجدداً. تمنت لو لم توافق أبداً على هذه الرحلة معه!

وأجبرت نفسها على عدوانية لم تكن تشعر بها كحماية غريزية منه.

ـ أنت لا توافقني الرأي حول «نيوبوتل ميدو» كبداية.

ـ لا أحتاج إلى أن أوافقك الرأيَ كي أعجب بمزايا محددة في تركيبتك.

ـ لا.. لا أعتقد ذلك.

نظر إليها بقسوة: «لا تتذاكي علي جورجي».

ـ أتذاكى؟ أنا لن أحلم بهذا!

تلاشى العبوس الذي جعّد جبينه ليستحيل تساؤلاً، وتمتم بصوت مستفز: «لكنك تتمتعين بأن تتحديني، أليس كذلك؟ أتعرفين لماذا تفعلين هذا؟».

وبدا أنه يعرف بالضبط دوافعها.

هذا لأنك مغرور، من دون إحساس، متكبر.

وقاطع أفكارها، ليقول ببرودة لا تغتفر: «لأنك منجذبة إلي.. وأنت تقاومين هذا بطريقة قديمة قدم الزمن».

للحظة، لم تستطع أن تصدق ما قاله حقاً، أو ما ظنت أنها سمعته، ثم فغرت فمها وأقفلته، قبل أن تفتحه مجدداً لتقول بحدة: «لعله من الصعب عليك أن تتقبل هذا سيد دو كابسترانو، لكن، لن يغمى على كل أنثى تنظر إليها عند قدميك».

فرد بسهولة: «أستطيع أن أتقبل هذا، لكنني أتكلم عنك، وليس عن أي شخص آخر».

وكانت تعابير وجهه جامدة تماماً، مما جعل حديثهما غريباً في نظر جورجي.. وفكرت بجنون: يا لغرور الرجل!

ـ وأنا أعرف أنني مصيب، لأنني أشعر بالأمر نفسه. أريدك أكثر مما أردت أيّ امرأة منذ زمن طويل، وكلما استمر هذا بيننا، كلما كان أفضل.

مدّت جورجي يدها تحاول باضطراب فتح الباب. وقالت من بين أسنانها المطبقة لتمنع صوتها من الارتجاف: «لن أستمع إلى هذا الهراء مدة أطول».

نظر مات إلى الحذاء الثقيل الذي يزين قدميها: «سوف تبدين.. غير عادية.. وأنت تسيرين منتعلة هذا.. أليس كذلك؟ لا داعي للحرج جورجي.. أنت تريدينني، وأنا أريدك، وهذا أمر طبيعي للغاية».

وكانت السخرية المرتسمة على الوجه الأسمر القشة التي قسمت ظهر البعير. فاستدارت إليه وكأنها قطة صغيرة متوحشة خضراء العينين، وراحت عيناها ترسلان الشرر وهي تصيح: «أتتجرأ حقاً على مراودتي عن نفسي! وبدم بارد؟».

أصبح تعبير وجهه غير مقروء، لكنها اعتقدت أن السخرية تلوي فمه القاسي: «أوه.. هذا ما في الأمر إذن؟ تريدين باقة من الورد الأحمر ووعود بحب لا يموت، وإلى الأبد؟ آسف. أنا لا أؤمن بأي منهما».

ـ أنا لم أطلب شيئاً.

سأل بمنطق: «إذن، لماذا أنت منزعجة؟ يمكنك أن تقولي لي إنني مخطىء من دون هذه الدراما؟ المسألة ليست بهذه الفظاعة إن قال لك شخص من الجنس الآخر إنك مثيرة».

مثيرة.. وهل يعتقد مات دو كابسترانو أنها مثيرة. وإن لم تسيء فهم كل هذا فهو يقترح أن يكون بينهما علاقة. وأحست جورجي بانقباض في معدتها لم يكن وليد الغضب.. وفي تلك اللحظة بالذات عرفت أنه يفهمها أكثر مما تفهم نفسها، لكنها ستموت قبل أن تدعه يكتشف ذلك..

قالت متشددة: «هناك طرق وطرق لقول الأشياء».

ـ ظننتك تفضلين الصدق.

نظرت إليه بغضب.. غاضبة لأنه يحاول أن يجعلها تشعر بالذنب لاعتراضها على تودده الصريح.

ـ أنا أفضله!

اقترح بنعومة: «دعينا نختبر صحة هذا التصريح.. هل يمكن ذلك؟».

وقبل أن تتمكن من الاعتراض، وجدت نفسها بين ذراعيه.. وكان العناق مدمراً كما تصورته دائماً.. لقد تخيلت حالتها وهي بين ذراعين كهاتين.. واعترفت بذلك صامتة. كان عناقاً حلواً، متعمداً، ومثيراً، وعجزت عن مقاومته.

كان مات يتنفس بصعوبة، وبدت عضلات جسمه متصلبة وهو يضمها إليه في السيارة الضيقة.

لو استخدم قوته الجسدية المتفوقة، وحاول أن يجبرها، وإن قليلاً، لاعترضت.. لكنه مخطط لامع. إنما هذه الفكرة لم تكن بقوة الأحاسيس الفيّاضة التي غمرتها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها.

كان يضمها بخفة، لكن بحزم.. وببطء لكن بخبث، ولم ترغب في أن تستجيب له، وتعرف أنها يجب ألا تفعل. لكن، هذا ما فعلته

بالضبط.. ولم تجد تفسيراً لتصرفها.. لكن.. ما دخل التفسير بمات دو كابسترانو؟

بل له دخل! وبدأ دماغها يصبح محذراً.. لقد نسيت هذا مع تعرضها للخطر.. فرجل مثله لن يهتم بفتاة مثلها أكثر من دقيقتين. لقد أثارت اهتمامه لأنها وقفت في وجهه.. أهانته في الواقع.. وهذا كل ما في الأمر. وسيكون كل هذا حدثاً عرضياً عابراً في حياته، يتذكره لحظة ثم ينساه إلى الأبد.

لكنها لن تنسى أبداً.

حين انتزعت نفسها منه، لم يحاول منعها. وكان هذا برهاناً آخر لجورجي على قوة اهتمامه، إنه يراها كتسلية مؤقتة، طالما أن المشروع مستمر، ويجب أن يتواجد هنا، ثم ينطلق بعد ذلك إلى مراعٍ جديدة من دون التفكير فيها.

قالت محمومة: «لا أريد هذا».

وتراجعت إلى الباب وهي تنظر إلى الوجه الأسمر والعينين الرماديتين الثاقبتين، المركزتين على وجهها المحمر.

لم يقل شيئاً للحظة، وبدا تعبير وجهه غير مقروء. ثم تراجع ليستقر في مقعده، وأدار المحرك مجدداً، وانطلق في الطريق قبل أن يقول بهدوء: «بلى.. تريدين. لكنك خائفة من النتائج. فلا داعي للخوف. ستكون المسألة مسألة غريبين متناسبين، يتقربان من بعضهما البعض من دون روابط ومن دون التزامات».

أوه.. أجل.. ويمكن للفيلة أن تطير!

ربما بمكنه أن يستمتع بوقته «من دون روابط» أما هي، فلا تستطيع أبداً. فهي وبكل بساطة ليست هكذا. وتنفست بعمق، ثم زفرت أنفاسها، تستجمع قوة إرادتها لتحافظ على هدوء وثبات صوتها، وقالت بحزم: «لا أريد أن أتقرب من أحد في هذه الأوقات يا مات، لدي ما يكفيني من المشاكل مع روبرت وولديه، وأنا لا أريد، ولا أستطيع التعامل مع أي أمر

آخر».

ـ هراء.

وكان رده متصلباً وواثقاً بشكل يثير التوتر، وودّت جورجي لو تميل نحوه وتلكمه على أنفه المتعجرف.

قالت متوترة: «ليس هراءً، فنحن غير معجبين ببعضنا البعض!».

ونظرت إليه وهي تتكلم، ورأت حاجبيه السوداوين يرتفعان..

فرددت بقسوة: «حسن جداً. نحن غير معجبين ببعضنا البعض».

قال بهدوء شديد: «أنت تعجبيني جورجي».

حسن جداً. حان وقت الكلام الصريح!

وصححت له بشجاعة: «أنت تريدني في فراشك».

وسمعته يأخذ نفساً سريعاً، فأضافت بعجلة: «وهذا أمر مختلف تماماً».

قال بهدوء: «أؤكد لك أنني لن آخذ امرأة لا تعجبني إلى فراشي، هل هذا يناسبك؟».

لن تكسب هذا الجدل، وأجبرت نفسها على ألاّ تجادله، وقالت بدلاً من ذلك: «لا مجال للأخذ والرد في مسألة إقامتي علاقة معك مات، مهما كانت».

كانا قد وصلا إلى الضواحي الآن. وبينما كانت اللمبرغيني تهدر في شارع سكني، خطت امرأة شابة صغيرة أنيقة، تحمل أكياس مشتريات أمام السيارة مباشرة. ولعن مات بصوت مرتفع وهو يدوس المكابح بعنف، وبتوقف على بعد قدم تقريباً من حمراء الشعر المثيرة. ومن ثم أنزل زجاج نافذته وسألها من دون مواربة عما تحاول أن تفعله.

راقبت جورجي الوجه الجميل يستدير إليه، والعينين الزرقاوين تتفحصان السيارة أولاً، ومن ثم مات. ولم تندهش للاعتذار المتدفق.

ولم يبدُ على مات أنه لاحظ جمال حمراء الشعر، ولا لهفتها للتكفير عما فعلت. لكن من دون شك، لو كان وحده في السيارة، لاختلفت

المسألة. وتابعا سيرهما وهي تكرر هذا لنفسها.

إنه ثري، قوي، ورجل وسيم. والصفتان الأوليان تجعلان من الصفة الثالثة لا تقاوم بالنسبة لبعض النساء، وليست النساء الجميلات وحدهن. فهو يضمن لهن حياة الثراء والاسترخاء. واشتد ضغطها على فمها الرقيق.

ـ لم تقولي كلمة منذ خمس دقائق.

الصوت العميق البارد إلى جانبها أجفلها. وأكمل: «يجب أن أعانقك أكثر إن كان هذا يحولك إلى أنثى حلوة ومطيعة».

فردت على الفور: «لقد قلت كل ما يجب أن يقال».

وتصلبت لإشارته إلى عناقه.

ـ أنت لم تقولي شيئاً.

كانا قد وصلا إلى إشارة سير ضوئية تسبق الشارع حيث منزل روبرت. ومع تحول الإشارة إلى الأحمر، أوقف مات السيارة ونظر إليها، عيناه ضيقتان وثاقبتان بشكل يثير الاضطراب.

ـ شخص ما اساء إليك وجرحك. أليس كذلك جورجي؟

رمشت عيناها مرة واحدة. لكن ما عدا ردة الفعل الخفيفة هذه، أجبرت نفسها على الثبات، وأبقت تعبير وجهها جامداً قدر ما استطاعت. ومع ذلك، مرت ثوانٍ قبل أن تقول، بلهجة ساخرة مناسبة: «أنت تفترض أن أحداً جرحني لأنني لم أطاوعك؟».

ثم تغيرت الإشارة، فتابع السير. أرادت أن تغوص إلى الخلف في المقعد، لكنها أبقت نفسها مستقيمة. محاولة ألاّ تفكر بشيء ما عدا الخروج من السيارة في أسرع وقت ممكن.

كان جسمها لا يزال مقشعراً من لمسته. وأخذت توبخ نفسها بقسوة لأنها لم ترد على وقاحته بحدة. كان عليها أن توضح له أنها تعتبر وقاحته خارجة عن المألوف. لقد تعاملت مع المسألة بطريقة خاطئة..

توقفا أمام مبنى مكتب روبرت الصغير، بعد أن ناور مات بحذر

لتدخل اللامبرغيني إلى الفناء غير المرتب، المليء بكل أنواع مواد البناء. وقبل أن تتحرك، فتح بابه، واستدار حول مقدمة السيارة متوجهاً نحوها.

ـ شكراً لك.

لم يكن أمامها خيار آخر سوى الخروج من اللمبرغيني وهي تنتعل الحذاء السميك.. وعلا الاحمرار خديها حين استطاعت أن تقف.

ـ سأطبع هذه الملاحظات لك، لتأخذها فيما بعد.

ـ أنا لا أنوي الاستسلام جورجي.

ـ أرجو عفوك؟

التفت إليها، وعيناه تجولان على وجهها الصغير البيضاوي الشكل، وشعرها الذي يشابه لون الذرة.. وأبعد خصلة شعر حريرية عن خدها، ثم قال: «أريدك.. كثيراً».

قالت بسرعة، رغم الضيق المفاجىء في صدرها: «هذا لا يعني شيئاً. لا بد أن هناك مئة امرأة وامرأة تتمنى مشاركتك...».

ـ أنت تركّزين علي وعلى الفراش. أليس كذلك؟ أتساءل عن رأي «فرويد» عالم النفس، في هذا؟

ـ الآن اسمع مات..

قال بلطف: «لكنني لا أمانع. بمكنك أن تتخيلي ما شئت..».

ـ لقد قلت لك.. لن يحدث هذا!!

وكانت تتكلم في الهواء، فقد التف حول مقدمة السيارة، وصعد إليها، وترك المحرك يهدر عند خروجه من الفناء، من دون الاهتمام بغيره من السائقين.

وقفت جورجي بضع دقائق، والهواء العليل يشعث شعرها بأصابعه اللطيفة. إنه يخيفها.. راودتها هذه الفكرة حتى قبل أن تستطيع منعها، وعلى الفور تمردت.. إنه لا يخيفها.. بالطبع لا! لعل ردة فعلها نحوه هي التي تخيفها، لكن هذا أمر مختلف. إنها قادرة على السيطرة على ردات فعلها.. إنها قادرة.. وستفعل.. هذه المرة كان التجاوب في رأسها أكثر

قوة. أوه.. أجل، ستفعل هذا. لقد حصلت على تجربة من الحب تكفيها العمر كله، وما إن يتحسن وضع روبرت والولدين، ربما بعد بضعة أشهر، حتى تبذل كل طاقتها في مهنتها.. وستسعى حتى تصل إلى كل هدف وضعته لنفسها.. ستستقل بذاتها.. هذا ما تريده.

استدارت بحدة لتدخل المكتب وخلعت الحذاء وكأنه مصدر مشاكلها الحالية كلها. لديها ملاحظات تطبعها، وحفلة الولدين تنظمها، ويجب أن تعمل على الفور.. لكنها وقفت تنظر من النافذة.. ما جرى مع مات أثار فيها ذكريات كانت تبقيها في أعماقها عادة.

غلين وليامز.. إن أغمضت عينيها فسترى صورته بسهولة: طويل نحيل الجسم، شعر بني اللون، وعينان زرقاوان لامعتان، وذقن مربع عنيد. كان والداه يعيشان قرب منزل روبرت وساندرا، ومنذ أول يوم جاءت فيه لتعيش معهما، التقت بغلين الذي يكبرها بسنتين كما تعرّفت إلى أختيه، وإحداهما في مثل سنها والأخرى تصغرها بسنة.

وأصبحت على الفور صديقة للفتاتين. وكان هذا ما تحتاج إليه فعلاً في ذلك الوقت، لشدة تأثرها بخسارة والديها.. في السنوات الأولى، عاملها غلين كما يعامل أختيه الصغيرتين.. فكان يمازحها مع بعض الترفع. لكن، وفي عيد ميلادها الرابع عشر، شيء ما تغير.

كانت قد ارتدت ثياباً جميلة لحفلة عيد ميلادها وقصت شعرها الذي يصل إلى خصرها في وقت سابق من ذلك اليوم.. وما إن دخل غلين مع مجموعة من أصدقائه، حتى بدأ في احتكارها لنفسه.. ولم تمانع.. فقد كانت مفتونة به منذ زمن طويل. ومنذ تلك الأمسية أصبحا متلازمين ضمن مجموعة أصدقائهما.

لم يكن غلين يحب الدراسة، بل السيارات.. وبعد فشله في كل امتحاناته، عمل في مرآب للسيارات كميكانيكي متمرن.

في تلك السنة بالذات، نالت جورجي علامات ممتازة وجيدة في المدرسة، واستمرت في هذا بعد سنتين. خلال هذه السنوات، أمضيا كل

لحظة فراغ معاً، وكانت أوقات رائعة.

وبقيت جورجي تنظر من النافذة، لكنها كانت عمياء صمّاء، لا ترى وتسمع سوى الذكريات التي هاجمتها من دون هوادة.

شجعها غلين حين طرحت مترددة فكرة أن تتابع دروسها للحصول على درجة جامعية في الفنون والتصميم. وكانت تأتي إلى البلدة في نهايات الأسبوع. أبلى غلين بلاء حسناً في المرآب، ووثقت جورجي بمؤهلاتها الجيدة وبقدرتها على الحصول على عمل جيد، فأخذا يخططان للمستقبل.

وهكذا، سارعت الخطى إلى الجامعة وخاتم غلين في إصبعها، بعد أن طلب يدها في الليلة التي سبقت رحيلها. ولفترة وجيزة، سارت الأمور على ما يرام. كان يأتي لاصطحابها في نهاية كل أسبوع، وكانت جورجي يومها تقارب التاسعة عشرة وبلغ غلين لتوه سن الواحد والعشرين. وعرض والداه تحويل غرفة نوم كبيرة مزدوجة إلى جناح صغير وإضافة أريكة بمقعدين إليها، وبراد صغير، ومايكرويف، وتلفزيون وڤيديو وخزانة كهدية زفاف لهما. وكانت هدية روبرت وساندرا عطلة لأسبوعين خارج البلاد. وخططا لقضاء عطلة نهاية أسبوع في عشهما الدافىء الصغير، وما إن تنهي دراستها الجامعية وتحصل على عمل، حتى يفتشا عن منزل. فتتحوّل حياتهما بهذا إلى حياة روتينية.

وفي أواخر تشرين الثاني، لاحظت بعض التغيير فيه. ففي آخر عطلتين، أحست أنه بعيد عنها، وبارد كذلك. لكنه ترقى لتوه في عمله وعزت تباعده إلى زيادة مسؤولياته وضغط العمل. وكانت المشكلة في العمل بالفعل. لكنها ابنة صاحب العمل، وليس منصب غلين الجديد.

يملك هارولد بلومزبري سلسلة من المرائب في لندن وفي الغرب، ولديه ابنة وحيدة محببة مدللة. ولقد صممت جوليا أن تحصل على غلين. واكتشفت جورجي فيما بعد أنها كانت تعبث معه منذ مدة طويلة بشكل متقطع. لكن حين خطبها غلين لاحقته جوليا بشكل متواصل وبالرغم من

أنها ممتلئة الجسم وغير جميلة، إلا أن طريقة حياة عائلة بلومزبري لم تكن سيئة أبداً. فهم يملكون منزلاً رائعاً في المدينة، وڤيلا في توسكانيا، وأخرى في «باربادوس» فضلاً عن يخت وسيارات سريعة وغيرها من مستلزمات الثراء. وبهذا سيضمن زوج جوليا حياة الراحة والاسترخاء.

وضع غلين كل هذا في كفة والحب والجناح الصغير في منزل أبويه، في الكفة الأخرى. وقبل ثلاثة أسابيع من زواجهما أخبرها أنه سيلغي الزفاف، ولم يذكر جوليا. لكن جورجي اكتشفت أمر الفتاة الأخرى عن طريق صديقة بعد بضعة أيام. فقد كذب عليها حين قال إنهما صغيران جداً على الزواج وإنه من غير العادل أن تتزوج وهي تكمل دراستها. لقد بقيا متلازمين خمس سنوات، وربما حان الوقت كي يختبر كل منهما حقيقة مشاعره! ربما يلتقيان في عيد الفصح ليراجعا الموقف وينطلقان من تلك النقطة؟

تذكرت جورجي أنها صدمت وارتبكت. وفجأة ابتعدت عن النافذة ونظرت إلى منضدتها المليئة بالأوراق. لقد بكت يومها كثيراً، وتقلصت معدتها للذكرى. وتوسلت إلى غلين أن يعيد التفكير بقراره. لقد كان محور حياتها لسنوات، ولم تستطع أن تتصور عالمها من دونه.

غرقت في البؤس مدة أسبوع، ولم تأكل أو تنام. ثم اكتشفت أمر ابنة بلومزبوري مع خطيبها السابق. ومنذ تلك اللحظة تمسّكت بتعقلها واحترامها لنفسها. وساعدتها كراهيتها له فضلاً عن احتقارها المرير لرجل يمكن لفتاة أن تشتريه. وزمت شفتيها وهي تجلس.

وتزوّج غلين من جوليا في شهر أيار التالي. وأحست جورجي بالراحة، حين انتقل والداه بعد ستة أشهر للسكن في كوخ صغير على الساحل، فيما تعيش ابنتاهما في لندن في شقة للطالبات. ولم يرضَ أهله عن جوليا أبداً، ولطالما قالا إنها تحوّل حياة ابنهما إلى جحيم. لكن جورجي لم تشأ أن تعرف، ففصل غلين في كتاب حياتها انطوى، لكنه ترك ندبات وجروح عميقة. ولم تعترف بمدى عمق تلك الجروح إلى أن

واجهت مات دو كابسترانو.

إنه رجل ثري جداً، ومتعجرف، ومن دون رحمة.. كجوليا بلومزبوري. وهو يظن أنّ ما عليه إلاّ أن يرغب في شيء، حتى يحصل عليه. وأنه يستطيع تطويع الناس والقيم والمبادىء بحسب إرادته لأنه يستطيع شراء بعض الأشخاص وبيعهم. حسن جداً، سيصطدم بمفاجأة، ولمعت عيناها الخضراوان وكأنهما زمردتان متلألئتان، وتلاشى ما تبقى من عناقه لها.

أناس مثل جوليا بلومزبوري ومات دو كابسترانو لا ضمير لهم، ولا روح. إنهم يعاملون الناس باحتقار ولا يلاحظون أنهم يدوسونهم.. المال هو سيدهم..

قالت بصوت مرتفع «أكرهه.. فعلاً..» وفتحت درج منضدتها تبحث عن سندويشاتها الذابلة، «وكلما تقبل هذا بسرعة، كلما كان الأفضل لنا».

ثم كشرت لغباوة حديثها مع نفسها.. وقضمت سندويش الدجاج والمايونيز، مصممة على أن تطرد مات دو كابسترانو، من رأسها.

***

٤ ـ لن أتراجع!

بعد تناولها للغداء، أجرت جورجي اتصالات لأكثر من ساعة، بحثاً عن مكان لحفلة الولدين.. وشطبت كل قاعات الجمعيات والكنائس في المنطقة.. فالأسعار التي طلبها البعض منها مبالغ فيها بالنسبة لشخص في مركز روبرت المالي. ورأت أن على روبرت السماح لها بإقامة الحفلة في المنزل، ويمكنه الاختفاء بعد الظهر، بعد أن يساعدها في التحضير. لكن استئجار الألعاب لذلك اليوم بالذات بدا صعباً.

أخيراً توقفت عن التفكير بالحفلة، وقررت أن تطبع الملاحظات التي سجلتها في الصباح قبل أن تكمل بقية أعمالها المتراكمة.

عملت بنشاط طوال بعد الظهر، فأنهت جبلاً من الأعمال المكتبية وحضّرت أجور العمال الذين سيأتون لتقاضيها مساءً.. ولم يظهر أيّ أثر لروبرت مع بلوغ الساعة الرابعة.. ثم بعد عشر دقائق سمعت الباب ينفتح، فرفعت رأسها مترقبة: «أين كنت..؟».

وصمتت بغتة، فبدلاً من وجه روبرت، وجدت مات دو كابسترانو ينظر إليها، وعيناه الثاقبتان تتأملان بشرتها العاجية، وشعرها الذهبي.

حاولت التعليق بعفوية، وأن تنظر بعيداً، وأن تشغل نفسها بالأوراق على المنضدة.. لكنها لم تستطع.. فقد أحست أنها مسمرة، منومة. وراح قلبها يخفق بسرعة لتعابير الوجه الأسمر، فقالت في سرّها إن عليها أن تفتح فمها.. أن تقول شيئاً.. أي شيء.. وأخيراً تمكنت من أن تقول

بضعف: «ظننتك روبرت».

فرد ببرود: «لكن، كما ترين، أنا لست روبرت».

ـ لا . .

يا لهذا الحديث التافه . . قولي شيئاً معقولاً بحق السماء؟

ـ هل تعرف أين هو؟

ـ واجهنا بعض المشاكل في الموقع بعد الغداء، لهذا انشغلنا طوال بعد الظهر . . يجب أن يصل بعد بضع دقائق، فقد غادر الموقع بعدي مباشرة.

هزت رأسها في ما أملت أن يكون طريقة السكرتيرة المتصلبة: «ملاحظاتك جاهزة».

وأبعدت عينيها عن عينيه وأشارت إلى مغلف أبيض كبير على أحد جوانب منضدتها.

ـ أرجو أن أكون قد سجلت كل شيء، و . .

قاطعها ببطء: «أنت جميلة بشكل لا يصدق، ومن دون تصنع. معظم النساء اللواتي أعرفهن يضعن دهانات الحرب على وجوههن حتى قبل أن يخرجن من السرير في الصباح».

لا شك أنك تتكلم عن خبرة . . وتمكنت من رسم ابتسامة مهذبة على وجهها.

ـ حقاً؟ الآن، بالنسبة للجانب الغربي من الموقع حيث قال المهندس . .

ـ اللعنة على المهندس.

وتحرك ليقف أمامها، وعندما التقت عيناها المدهوشتان بعينيه قال بنعومة: «هل تتناولين العشاء معي الليلة؟».

هل هو مجنون؟ وحدقت فيه، خداها حمراوان بلون الورد. . وقالت متصلبة: «هذا مستحيل. . كما أوضحت لك جيداً هذا الصباح».

سألها متأملاً: «وهل يفيد إن عانقتك مرة أخرى؟».

حاول هذا فقط! وسرعان ما ستختبر الإحساس بآلة الطباعة وهي تهبط على رأسك. نظرت إليه، ولا بد أن وجهها عكس أفكارها، لأنه هز رأسه مفكراً، واعترف بجفاء: «ربما لا».

إنه يتمتع بهذا! إنها لعبة بالنسبة له، تسلية!

وردت بغضب: «أمامي عمل كثير أنجزه، إذا ما انتهيت».

ظهرت على فمه ابتسامة عريضة: «انتهيت؟ أنا لم أبدأ بعد».

أجابت جورجي بنظرة حادة: «أنت مخطىء. . ليس لدي الوقت للتحدث معك مات».

فرد على الفور: «إذن أوقفي الجدال وتناولي العشاء معي».

ماذا يلزم لتفهمه أنها تفضل أن تتناول العشاء مع هنيبعل؟

ـ لا.

وكان ردها نهائياً.

ـ أحب تحضير العشاء وأنا أستمع إلى الولدين يخبراني عن يومهما، ثم نتناول العشاء معاً. . إنهما بحاجة إلى هذا النوع من الطمأنينة في حياتهما.

ـ ولا تنالين أبداً أمسية فراغ؟

ـ لا.

قال متشدقاً بلكنة قوية وهو ينظر إليها، ويداه في جيبي بنطلونه، وشعاع من الشمس يظهر شعره بلون أسود داكن: «سأمر بك حوالى الساعة التاسعة. . موافقة؟ بعد أن يناما».

فردت ساخطة: «للمرة الأخيرة. . لن أتناول العشاء معك».

ولسوء الحظ اختار روبرت تلك اللحظة ليدخل المكتب. ورأته جورجي يقف مسمراً، وعيناه تنتقلان من وجهها المحمّر إلى وجه مات البارد غير المضطرب، قبل أن يقول: «هل من مشاكل؟».

فرد مات بسهولة: «أبداً، طلبت من جورجي تناول العشاء معي الليلة، لكنها أعلمتني أنها تشعر بأن الولدين يحتاجان إليها في الوقت

الحاضر، ويجب أن تبقى في البيت».

ـ جورجي.. لست مضطرة لهذا..

قاطعت أخاها: «أنا أريد هذا روبرت».

التفت روبرت إلى مات يسأله: «حسن جداً.. إذا كنت غير مرتبط الليلة، فلماذا لا تنضم إلينا على العشاء؟ ولن يكون الوضع مريحاً لذا أحذرك قبل أن تقبل أو ترفض، فالصغيران مفرطا الحركة في نهاية النهار، لكننا نرحب بك».

ـ عظيم.. أودّ هذا.

وكان الرد فورياً ومن دون أن ينظر إلى جورجي.

ابتسم روبرت بسعادة لكليهما: «جيد.. حلت المشكلة».

ولأول مرة منذ وفاة ساندرا، أحست جورجي برغبة ملحة في أن تلكمه..

ـ لكن..

واستدار مات إلى جورجي، وعرفت أن التعبير المتردد الذي ارتسم على وجهه لم يكن حقيقياً.

ـ هل سيكون هناك ما يكفي لإطعام فم آخر في مثل هذا الوقت القصير؟

تمنّت أن تقول له «لا» لأنها تعرف كما يعرف هو، أنها وضعت تحت الأمر الواقع. صرت على أسنانها ثانية، ثم قالت: «هذا إذا كنت تحب الطبخ المنزلي؟».

ـ أحبه.

ـ أوه.. جيد.

وأخفضت رأسها لتخفي الحرارة التي تصاعدت إلى وجهها.. ذلك المناور، الخبيث المنافق، المخادع..

ـ عصير فاكهة أم مرطبات!

ـ ماذا؟

كان روبرت قد دخل مكتبه، لكن مات وقف عند الباب المشترك.

ـ قلت عصير فاكهة أم مرطبات؟

وقال لها لمعان التسلية في عينيه الرماديتين بوضوح إنه يعرف تماماً ما تفكر فيه.

فردت من دون امتنان: «أي شيء».

ـ حسناً.

ثم أضاف بجرأة، ليسمع روبرت فقط: «لقد مضى زمن طويل لم أتمتع فيه بأمسية عائلية حول المائدة.. وأنا ممتن حقاً للطفك».

أضيفي إلى اللائحة، الرياء والتلوّن بألف لون، هذا ما فكرت فيه جورجي متشائمة وهو يقفل الباب. وصرّت على أسنانها بقوة آلمتها.

انشغل مات مع روبرت خمس دقائق قبل أن يبرز مجدداً، ويقف قرب منضدتها ليأخذ المغلف قائلاً: «متى تريدينني.. وكيف؟».

ـ ماذا؟

أحاسيس غريبة تتملكها في كل مرة تقترب فيها من هذا الرجل، فتجعل صوتها يختفي، كما تقطع أنفاسها.

ابتسم ببراءة: «على العشاء! في أي وقت، وما نوع اللباس؟ رسمي أم غير رسمي؟».

رجل مستحيل! وأبقت صوتها متزمتاً محتشماً وهي تقول: «في السادسة والنصف، لا أحب أن يأكل التوأمان في وقت متأخر.. فموعد نومهما هو الثامنة.. ولباس غير رسمي. قد يرتدي الولدان بيجامتهما، ويرغبان في متابعة برنامج ما على التلفزيون بعد العشاء وإنهاء فروضهما المدرسية».

حرك أنفه الأرستقراطي: «فروض مدرسية؟ يا للمسكينين.. لماذا لا يسمح للأولاد أن يكونوا أولاداً في هذه الأيام؟ هناك ما يكفي من الفروض المدرسية والكوابت حين يكبرون».

إنها توافقه الرأي تماماً، لكنها لن تعترف له بهذا.

- يجب أن يتعلما الانضباط . .

وأحست بمعدتها تتقلص لتفكيرها بالأمسية التي تنتظرها.

- كم أنت عنيدة.

أوضح صوته أنه لا يصنفها كعمة، وملأها هذا بضغينة لا تحتمل. فهي لم تلعب من قبل دور الساحرة الشريرة.

وأكمل: «السادسة والنصف إذن. ولقد أعطاني روبرت العنوان».

تأكدت جورجي من أن اللامبرغيني رحلت قبل أن تقرع باب روبرت وتطل برأسها قائلة: «أحتاج لبعض الأغراض للعشاء، لذا سأراك في البيت فيما بعد، هل من مانع؟».

ناداها روبرت وهي تنسحب: «جورجي؟ أنت لا تمانعين دعوتي له، أليس كذلك؟ أنا لم أفكر حين دعوته، فلديك ما يكفيك من المسؤوليات بسببي وسبب الولدين من دون أن أدعو فلاناً أو علاناً».

فكرت جورجي بقلق في أنّ مات دو كابستراتو ليس فلاناً أو علاناً من مستواك. . لكن حين التفتت إلى أخيها، ورأت خطوط التوتر والحزن واضحة على ملامحه. . وجدت نفسها تقول له بإشراق:

- بالطبع لا. . من مصلحتنا أن نستميله إلينا في هذه الأوقات. . أليس كذلك؟ وسيحب الولدان ضيفاً لتغيير الجو. لكن لا تجعل من هذا عادة. . هه؟

- أنت حلوة المعشر. . خذي السيارة، سأستقل سيارة أجره في ما بعد.

قد تكون حلوة المعشر، لكنها ستحول قدر قديمة الطراز إلى شيء عظيم، وليس لديها سوى ساعتين لتفعل هذا. كما عليها أن تنظف البيت، وتحضر الولدين، فضلاً عن القيام بأمور أخرى مهمة إذا كان مات دو كابستراتو سيتخطى عتبة منزلهم.

بعد أن اشترت الحلوى الفاخرة، والزهور للمائدة، وبعض القهوة الفاخرة، والمرطبات، عادت جورجي إلى البيت بسرعة فائقة لتجد

الولدين مشغولين في بناء قصر من المكعبات مع «الجدة» التي تسكن في المنزل المجاور، والتي تأتي يومياً لتجالسهما حين يصلا من المدرسة.

بعد خمس دقائق، وبعد أن عادت السيدة جارفيز إلى منزلها، تحوّل المنزل إلى مسرح معركة محمومة. وما إن نظفت غرفة الجلوس من الألعاب، حتى تركت جورجي أمر تكنيس الطابق الأرضي لدايفد ومسح الغبار لآني، وراحت تحضر الطعام. حضرت بسرعة مزيداً من الخضار، وبعض البطاطس لتضيفها إلى البطاطس التي قشّرتها في الصباح.

عندما أنهت عملها، أرسلت الولدين إلى الطابق العلوي ليستحمّا ويغيّرا ثيابهما ويرتديا بيجامتين نظيفتين، بينما حضرت هي المائدة ورتبت الزهور التي اشترتها.

ونزل الولدان إلى الطابق السفلي مرة أخرى، وبديا رزينين وجميلين وهما يجلسان على الأريكة أمام الفيلم المفضل لديهما. وسارعت جورجي لتستحم وتغير ملابسها بعد أن رشت المنزل بمنعش للهواء وأشعلت شموعاً معطرة في غرفة الطعام.

سمعت روبرت يصل إلى المنزل وهي تخرج من تحت الدوش، فصاحت به ليتفحص الخضار قبل أن تدخل غرفة نومها التي تشاركها مع آني، وترتدي بنطلوناً أنيقاً وبلوزة من الكشمير الزهري الفاقع.

هذا كثير. . وتأملت نفسها في المرآة، وثم تأوهت محبطة. . إن علّق الولدان على لباسها، فستموت حرجاً.

خلعت البنطلون واستبدلته بجينز قديم أبيضّ لونه من كثرة الغسيل. ووقفت لحظة تتأمل صورتها في المرآة، أجل، هذا مناسب تماماً، والبلوزة رائعة، لا يمكن أن تغيرها كما فعلت بالسروال.

لم يتطلب شعرها وقتاً ليجف. وانسدل في غلالة حريرية ناعمة حول وجهها، واكتفت من الزينة بلمسة «ماسكرا» على رموشها الشقراء. وكانت تضع قرطين كبيرين مستديرين من الفضة في أذنيها، حين سمعت جرس الباب يرن، فانقلبت معدتها رأساً على عقب.

أغمضت عينيها بشدة ثم فتحتهما لتنظر إلى المرآة مجدداً. . «اهدأي يا فتاة. لقد استقبلت ضيوفاً على العشاء من قبل بحق السماء، وهذا ما هو عليه مات دو كابسترانو. . ضعي هذه الزيارة في الإطار الصحيح».

لكنها تلقّت صدمة مميتة، حين دخلت غرفة الجلوس بعد لحظات. . كان الرجلان يقفان، حاملين كأسين من العصير، ورأت وجه مات الجانبي القاسي وهو يصغي إلى ما تقوله آني. كان يعطي الطفلة كل اهتمامه، ولم يعي وجودها. وحين نظرت جورجي إلى جسمه الرجولي الضخم، وهو يرتدي بنطلوناً أسود وقميصاً رمادياً مفتوح الياقة، علقت أنفاسها في حلقها. إنه رائع، وهذا آخر ما تحتاج إليه أو تريد أن تفكر فيه. وهو خطير. . خطير إلى أبعد الحدود.

واستدار نحوها، فجمّدها ذلك النور الذي يشع من عينيه، ولم تشعر يوماً بمثل هذا الضعف أو عدم الاستعداد.

ـ مرحباً مات.

تمتم بنعومة: «مرحباً جورجي».

وكان اسمها كالمداعبة، فقد أضفت لكنته على الاسم إثارة جعلت كيانها يرتجف حتى الأعماق.

ـ أنا. . سوف أهتم بالعشاء.

وهربت إلى المطبخ، حيث وقفت لحظات تنظر حولها عاجزة. . ماذا ستفعل؟ ماذا ستفعل؟ ثم خمد الذعر حين تحرك المنطق البارد ليقول لها أن تلعب دور المضيفة وحسب. . إنها ليلة واحدة في العمر، ومتى انتهت، يمكنك أن تتحدثي بهدوء إلى روبرت، وتتأكدي من ألاّ يكرر الدعوة. . أمر بسيط.

عندما دخل الجميع إلى غرفة الطعام، بدا واضحاً أن آني وقعت في الحب وأن دايفد تعلق ببطل. وكانت رباطة جأش جورجي شديدة وهي تراقب الولدين يتعلقان بكل كلمة يقولها مات.

وسألت آني، بينما كانت جورجي تأتي بالأطباق الأخيرة:

ـ وهل لديك حقاً جياد في إسبانيا وهنا أيضاً؟

آني تحب الجياد إلى حد الجنون، وتتلقى دروساً في الفروسية منذ سنة، وأكملت تسأل: «كيف هي؟».

ـ جميلة. .

واتجهت عينا مات إلى وجه جورجي للحظة وجيزة وهو ينطق بالكلمة، ثم عاد نظره إلى وجه الطفلة المليء بالحيوية: «ربما يمكنك الحضور لرؤية الجياد حين تشائين إذا ما وافق والدك؟».

ـ حقاً؟ هل تعني هذا؟

وكان صوت الصغيرة أشبه بصيحة ابتهاج.

ـ أنا لا أقول ما لا أعنيه.

أحست جورجي مرة أخرى بنظرته تتأملها، مع أنها كانت منكبة على وضع الصحون التي يتصاعد منها البخار. وأضاف ممازحاً: «أعني الجياد التي في انكلترا بالطبع، فإسبانيا بلاد بعيدة ولا يمكنك الذهاب إليها لرؤية جواد. . أليس كذلك؟».

ـ لن أمانع.

رنة صوت آني أوضحت أنها على استعداد للذهاب إلى آخر الأرض، برفقة مات. وابتسمت جورجي في سرها ساخرة. . في مثل هذه السن يتهافتن على مثل هذه الفتنة السمراء. . فجاذبيته مذهلة إذا كانت الأنثى غبية بما يكفي لتنسى الرأس المفكر البارد الذي لا يرحم وراء هذه الفتنة.

ـ هذا لطف كبير منك مات.

وبدا واضحاً أن روبرت أجفل قليلاً، ولم يبد واثقاً أبداً مما إذا كان هذا حديثاً اجتماعياً قيل من دون نوايا حقيقية.

لكن مات حرره من أوهامه حين قال: «لماذا لا تكون الزيارة في نهاية الأسبوع، إذا لم يكن لديكم شيء آخر؟ تعال أنت والولدين وجورجي لقضاء نهاركم والتفرج على الأملاك، سيلهو الصغيران».

قال جملته الأخيرة بصوت منخفض لروبرت، ثم أكمل موجهاً حديثه

إلى دايفد: «وأحضر معك ثياب السباحة. لدي بركة نستطيع أن نتدرب فيها».

إذن، لقد أخبره دايفد أنه وآني يتعلمان السباحة ولم يفت مات شيء، جياد وبركة سباحة.. إنه حقاً الرجل الذي يملك كل شيء.. لكن ليس بالنسبة لها.

أبقت جورجي صوتها خفيفاً ولطيفاً وهي تقول: «كلوا بشهية جميعاً.. أنا واثقة من أن الولدين سيحبان يوم نزهة. لكن لسوء الحظ، لن أتمكن من المجيء في نهاية الأسبوع، لأنني سألتقي صديقاً قديماً من الجامعة سيحضر إلى لندن لبضعة أيام.. لكن أنت والولدين يجب أن تذهبوا وروبرت».

قال مات بلطف يماثل لطفها: «صديقتك مرحب بها كذلك».

ـ شكراً لك. لكن أظن أننا سنترك الأمر على ما هو.

وقربت له طبق يخنة البطاطس وهي تتكلم، ومع تلامس أصابعهما أحست بشحنة كهربائية وصلت إلى أصابع قدميها.

ـ ألا تحب صديقتك الجياد؟

ولاحظت نظرة عينيه، فعرفت أن التلامس الجسدي أثر عليه أيضاً.

ـ لا أعرف.

ـ يمكن أن تسأليها.

هذا يكفي. يمكنه التصرف كأخ أكبر مع شخص آخر، لكنها لن تتقبل شيئاً منه.

ـ لكن سايمون من النوع الهادىء.

ورأت أن الاسم فاجأه، ورسمت على وجهها قناعاً مبتسماً لتخفي الارتباك الذي سببته نظرته الضيقة، وأكملت: «إنه لا يحب الجموع».

ـ وهل سيعتبر ستة أشخاص جموعاً؟

وكان في الصوت الساخر ما يقول بوضوح شديد أن مثل هذا الرجل شخص مغرور منطوٍ على نفسه.

هزت جورجي كتفيها من دون اكتراث، فهي تخشى أن تتكلم وتقول له رأيها فيه بالضبط. وهذا الخيار ليس جيداً بحضور التوأمين. كما لا يمكنها أن تذكر أن سايمون هو خطيب أعز صديقة لها منذ أيام الجامعة، وأنه طلب منها المساعدة لاختيار قطعة حلي لعروسه كهدية زفاف مفاجئة.

قاطعت آني اللحظة المرتبكة: «سأبلغ الثامنة من عمري قريباً.. وكذلك دايفد، فنحن توأم».

ابتسم مات وهو يهز رأسه: «هذا صحيح».

تابعت آني بحزم: «كان عليّ أن أكون في الثامنة منذ زمن طويل، ستوارت ميلر يكاد يبلغ التاسعة ولا يستطيع التهجئة، أليس كذلك يا دايفد؟».

كان فم دايفد مليئاً بالطعام، فاكتفى بهز رأسه، وأكملت آني، وعيناها الزرقاوان الكبيرتان مركزتان على مصدر افتتانها: «أنا ودايفد نجيد تهجئة الكلمات الكبيرة حقاً، هل لديك أولاد في موطنك؟».

اختنقت جورجي بقطعة من البطاطس.. لا يمكن القول أبداً أن آني تتأنى في طرح أسئلتها! على أي حال، مع نهاية الوجبة كانت جورجي قد عرفت الكثير عن مات دو كابسترانو من حديث آني البريء! أمه إنكليزية وأبوه إسباني، وله شقيقة واحدة أنجبت الكثير من الأولاد.. أما والده فمات منذ سنوات، وبقيت أمه في منزلها في إسبانيا. فلديه بيوت في البلدين، ويقسم وقته بالتساوي بينهما، ويحب الجياد والكلاب والقطط. وكانت المعلومة الأخيرة مهمة لآني التي قررت أنها ستصبح طبيبة بيطرية حين تكبر، واللون المفضل لديه، هو الأخضر.

السؤال الأخير رد عليه مات وهو ينظر إلى جورجي، وعيناه الرماديتان تبتسمان بسخرية.

أوه.. أجل.. إنها تراهن على ذلك.. وردت الابتسامة بأدب من دون الإفصاح عن أفكارها.. ومع شقراء زرقاء العينين سيكون لونه المفضل الأزرق، وسيفضل اللون البني مع بنية العينين.. وهلم جرّا.

ما إن انتهى العشاء، حتى أخرجت جورجي الجميع إلى غرفة الجلوس، وعادت إلى ملاذها في المطبخ، رافضة أي عرض للمساعدة، وتأخرت هناك إلى أن حان وقت نوم الولدين. أمضت وقتاً أطول من العادة معهما، ثم حين ناما وأصبح من المستحيل التأخر أكثر نزلت إلى الطابق السفلي وهي، تنظر إلى ساعتها. . إنها التاسعة والنصف. . بعد نصف ساعة، تقريباً، وبعد أن تحضر القهوة، سوف تعتذر بلباقة وتترك الرجلين ليتكلما. . وقد لا تكون هذه الليلة بالسوء الذي تخشاه.

أدركت خطأها فور دخولها غرفة الجلوس، فقد سألها روبرت قبل أن تقفل الباب: «جورجي. . هل وجدت مكاناً لإقامة حفلة عيد ميلاد الولدين؟».

ـ الحفلة؟

ولاحظت بيأس الطيف الأسود الجالس قرب الأبواب الزجاجية المفتوحة لكنها أبقت عينيها على روبرت.

ـ لا. . لا. . لم أجد. . سأحاول غداً، و. .

قاطعها روبرت: «لا تقلقي. . مات لديه فكرة رائعة».

ـ حقاً؟

ونظرت ساخرة إلى مات، ورأت أن الوجه الأسمر لا يحمل أي تعبير. . وهذا ما لم يطمئنها.

ـ بما أنك لا تستطيعين الذهاب في نهاية هذا الأسبوع، عرض علينا جميعاً أن نزوره نهاية الأسبوع التالي ونقيم حفلة الولدين في منزله.

وأطلق روبرت الخبر وكأنه أمر عادي يقوله.

للحظة، كانت جورجي أكثر ذهولاً من أن تقول أي كلمة. . ثم هبّ المنطق لنجدتها بدفق حار، واحتجّت بسرعة: «لا يمكن هذا. هذا لطف كبير منك طبعاً، لكنهما سيدعوان أصدقاءهما في المدرسة، ومن الأفضل ترك الأمور على ما هي عليه».

ـ عنيت أن أدعو أصدقاءهما.

كان مات يجلس مسترخياً على صندوق ضخم من السنديان، وقد طوى ذراعيه على صدره، وراح يتفرس في وجهها المحمر بعناد بارد.

ـ لقد اشتريت مزرعة قديمة منذ بعض الوقت، وأعدت بناء المنزل، وهناك مساحة واسعة ليستمتع الأولاد بوقتهم. . وبركة السباحة الداخلية دافئة ويمكنهم أن يلعبوا فيها. .

قالت جورجي بضعف: «لم أستطع إيجاد قاعة لهم. . ما من واحدة للإيجار».

قال مات بهدوء: «سأجد لك واحدة إذا أردت، ولقد اقترحت على روبرت أن تذهبي الآن إلى منزلي لتتأكدي من أن كل شيء على ما يرام. المنزل لا يبعد سوى نصف ساعة».

الأمور تتحوّل من سيء إلى أسوأ: «لا أعتقد. . .».

تابع مات بهدوء: «يمكن أن نستمتع بيومنا، وإن أراد أهل أي ولد البقاء فسنرحب بهم. خدمي معتادون على المناسبات الاجتماعية الكبيرة، وهناك مؤسسة تقدّم الطعام والشراب تستدعيها مدبرة منزلي لمثل هذه المناسبات».

وتابع من دون توقف: «هكذا سيمضون الصباح عند البركة، وسيكون الغداء في الهواء الطلق يتبعه اللعب بعد الظهر، والشواء في المساء».

ـ مات. .

لكنه أكمل بصوت بريء: «هل تظنين أن دايفد وآني سيتمتعان بهذا؟».

وكان سؤاله هذا حجة حاسمة أسكتتها.

كيف يمكنها أن تحرم دايفد وآني من مثل هذه الدعوة؟ إنها لا تستطيع. . وها هو يتلاعب بها بمخططاته الذكية، لكنه مجنون، لا بدّ أنه مجنون. . هل يُعقل أن يفعل كل هذا لمجرد أنها رفضت أن تواعده؟ إنه جنون العظمة.

ـ إذن. . سويّ الأمر.

وبدا روبرت غير واعٍ للتوتر الخفي في الغرفة.

ـ سأحضر القهوة جورجي.. ارتاحي فأنت لم تتوقفي عن العمل طوال اليوم.

وقبل أن تستطيع منعه، خرج روبرت من الغرفة، وهي لا تزال تحاول السيطرة على صدمتها. غاصت جورجي في الأريكة قبل أن تدرك أنه كان عليها أن تختار المقعد المنفرد الآمن.. وزاد تركيزها على الواقع حين تقدم مات ليجلس إلى جانبها، وهو يرميها بنظرة من عينيه شبه المغمضتين.

قال بهدوء: «أودّ حقاً أن أقدم للتوأم حفلة مميزة بعد كل ما عاناه يا جورجي.. إنهما ولدان لطيفان..».

كاد جانبه يلامس جانبها، ولم يحرك شخص آخر في حياتها أحاسيسها كما يفعل. ولزمها لحظات قبل أن تقول، بسخرية: «ولهذا السبب عرضت استضافة عدداً من الأولاد الكثيري الحركة يوماً كاملاً؟ بدافع العمل النبيل؟».

تحرك قليلاً: «آه. حسناً هذه مسألة مختلفة».

وانفلتت أحاسيسها بجنون، فقد استدار نحوها، وإحدى ذراعيه على ظهر الأريكة خلفها.

وأكمل: «أنا لم أدعِ يوماً أنني «نبيل»».

إنه يكرر فعلته.. إنه يسخر منها بذلك الصوت العميق، مع أنه لم يكن هناك أيّ أثر للتسلية على وجهه الرجولي.. وارتكبت غلطة حين رفعت نظرها إليه، إذ اكتشفت أن من المستحيل أن تبعد نظرها عنه.

ـ هل سترافقينني الليلة؟

كانت الكلمات بسيطة.. لكن طريقته في قولها، أثارت قشعريرة مثيرة في جسمها.

ـ أنا، أنا، لا أستطيع.

وأشارت بعجز إلى الظلام في الخارج.

ـ لقد عمّ الظلام الآن، وتأخر الوقت. و.. و.. روبرت يحضر القهوة.

مستحيل، يستحيل أن ترافق مات دو كابسترانو هذه الليلة.. ليس وهو يبدو ساحراً، رائعاً.. إنها تحتاج لبعض الوقت لتبتعد عنه مجدداً.. لتسيطر على مشاعرها، وتترك المنطق البارد يحل مكان التجاذب الجسدي..

قال بصوت ناعم كالحرير: «حسناً.. ربما من الأفضل أن تريه في وضح النهار. في الغد إذن.. سأمر عليك في المكتب لآخذك قبل أن تعودي إلى المنزل».

فقالت: «لا حاجة لأن أرى منزلك، أنا واثقة من أنه رائع».

ردّ بحزم أكبر: «لكنني أصر».

ـ لكن..

ورفع ذقنها لينظر إلى العينين الخضراوين بلون البحر.

ـ مدبرة منزلي وزوجها، الذي يشرف على الحدائق، يعيشان هناك.. وسائس الخيل لديه شقة خاصة فوق الاسطبلات، هناك دائماً شخص ما.

حوّلت رموشه السوداء الكثيفة، عينيه إلى بركتين لا قرار لهما. وأحست جورجي بالضعف.. تماسكت، واستقامت قليلاً وهي تنتزع ذقنها من أصابعه بالتفاتة حادة من رأسها.. وقالت متصلبة: «لم أظن أن سلامتي معرّضة للخطر».

لكنها ذعرت حين ضحك بنعومة: «أيتها الكاذبة الصغيرة!».

سخريته جعلت الحمرة تصبغ وجهها: «لا، حقاً..».

ـ أنت خائفة من أن أفعل هذا.

وعانقها بخفة، فأحست بعطره يملأ أنفها. لم يحجزها بقوة بين ذراعيه، بل اكتفى باحتضانها بنعومة، لكن جورجي وجدت نفسها عاجزة عن الحركة.

بقي عناقه حلواً للحظات، ثم هبطت يده عن ظهر الصوفا إلى ظهرها،

ووجدت نفسها محجوزة قرب جسمه الفولاذي القوي. وخلّفت ذراعاه فيها أحاسيس مجنونة جعلتها تتأوه بنعومة.

واجتاحتها موجات صغيرة من الحب المشبوب، ازدادت قوتها حتى أحست أنها تكاد تغرق في بحر ساخن.

إنه جيد.. رائع. الاعتراف بخبرته كاد يصل إلى وعيها لكنه لم يؤثر في المشاعر الصاخبة التي تملكتها. شعرت بخفقات قلبه القوية تحت القميص الحريري، وهو يشدها إليه أكثر. وأحست أن من الرائع أن تعرف أنها تؤثر عليه بهذه الطريقة..

ولقي ارتجافها الرد في جسمه.. ورفع رأسه، وتمتم: «أرأيت؟ أنت تريدينني بقدر ما أريدك جورجي والتفاعل بيننا حاد جداً».

أخذت تتنفس بصعوبة، مع أن جزءاً منها راح يصرخ عالياً باحتجاج أخرس على هذا الإعلان، إلا أنها اضطرت إلى مقاومة رغبتها في أن تضمه مجدداً.

نظرت إليه بعينين واسعتين وهمست بارتجاف: «إنها.. مجرد مشاعر جسدية».

ابتسم، وظهرت على فمه الحازم رجفة مثيرة: «أعرف. عظيم.. أليس كذلك؟».

دفعته عنها: «هذا لا يكفي.. ليس بالنسبة لي».

عادت يده إلى ظهر الصوفا ولم يعد يلامسها.. تراجعه أعطاها الشجاعة لتقول بحزم أكثر: «أنا أعني ما أقول مات. لا أريد هذا».

وأخذت نفساً عميقاً، وأضافت: «كل ما أريده هو أن تتركني وشأني.. وهذا ليس بالكثير.. أليس كذلك؟».

ـ بل كثير كثير.. عانقتك مرتين، وأنا أريد المزيد.. أكثر من هذا.

لكنني سأصبر، صدقي أو لا تصدقي.

ـ كل الصبر في العالم لن يغير رأيي.

حذرها بنعومة: «وأنا لا أتراجع أمام التحدي».

إذن، هي على حق.. إنه يراها تحدياً لأنها لم تقع على الفور بين ذراعيه.. وقضى غضبها على ما تبقى من عناقه، وجمّد أطرافها.. وقالت ببرود شديد: «لا نية لي إطلاقاً في إقامة علاقة معك.. أو مع أي شخص آخر.. روبرت والتوأم اهتمامي الأول في هذه المرحلة.. هل هذا واضح بما يكفي؟».

ـ جداً.

على الأقل، لم يعد يبتسم.. وقالت: «يسرني أنك فهمت أخيراً».

تمتم شيئاً غامضاً بالإسبانية.. فتح فمه ليرد.. لكن روبرت نادى من وراء الباب: «جورجي؟ افتحي الباب، هلاّ سمحت؟ أنا أحمل صينية بين يدي».

فقفزت بسرعة تكاد تطير لتصل إلى الباب.

مرت عشرون دقيقة أخرى قبل أن يقف مات ليغادر. وذهلت جورجي لقدرته على التمثيل. ولولا النظرة الفولاذية التي رمقها بها لاقتنعت بأنها تخيلت كل ما جرى.

وبينما كان الثلاثة يقفون على عتبة الباب، بدا كلامه مثالاً للضيف الممتن الذي يشكر مضيفته: «كان العشاء رائعاً جورجي. أنت بالتأكيد تعرفين الطريق إلى قلب الرجل».

أيها الساخر اللئيم!

وابتسمت جورجي بحلاوة: «هذا ما يقال».

رأت العينين الرماديتين تلمعان وتضيقان. وذكرت نفسها بضرورة توخّي الحذر، فمات دو كابسترانو رجل ليس من الحكمة إزعاجه..

بدأ جرس الهاتف يرن في غرفة الجلوس.. فقال روبرت: «أنا آسف مات.. هل تمانع إن أجبت؟».

وأخذ مات يهز رأسه ورد على الفور: «لا. . اذهب. . وسأراك غداً».

ـ عمت مساء مات.

وأصبحا وحيدين. . ورداً على صمتها الصارخ. . ابتسم وقال: «سيري معي إلى السيارة».

ولم يترك لها خيار أن توافق أو ترفض، فقد أمسك بذراعها، وقادها في الطريق الداخلية المعتمة.

ـ اتركني!

وكان صوتها شبه عدائي، وهي تحاول يائسة، أن تبقى هادئة. فمات هو صاحب المشروع الذي سينقذ روبرت.

قال متشدقاً برباطة جأش ساخرة: «تعجبينني أكثر وأنت ناعمة، مقطوعة الأنفاس، بين ذراعي، منك وأنت تتلفظين بالحجارة!».

وأحست باللون الأحمر يصبغ وجنتيها، وسرّها الظلام الذي أخفى حالها وهي ترد: «قلت لك أن تنسى كل هذا».

سأل بجد مفاجيء: «هل كان هناك كثيرون؟».

نظرت إليه وقد حيّرها التغيير المباغت: «ماذا؟».

ردّ بصوت ناعم كالحرير: «رجال هنأوك على العشاء من قبل».

ـ هذا شأني وحدي.

صدمها كلامه، وظهر عليها. كيف يجرؤ على طرح هذا السؤال من حياتها العاطفية؟. . نعم، لقد خرجت في موعد أو اثنين بعد غلين، لكن بعد فترة، بدأت تتساءل لما تبذل جهداً وهي لا تريد أن تتورط مع أحد. . حتى حين توضح لمن يرافقها أن الموعد بدافع الصداقة، فإنه يحاول دائماً التودد إليها في نهاية الأمسية. وهكذا، قررت إذا لم تجد الدافع السحري، أن تقنع بالبقاء وحيدة. . ولم تجد ذاك الشيء «السحري» قبل الآن، وارتجفت بعد أن صدمتها أفكارها.

ـ أنت تشعرين بالبرد.

ولفّ ذراعيه حولها بلطف، وقال:

ـ يجب أن ترتدي ثياباً أسمك من هذا الشيء الوردي اللون في الخارج.

أحاطتها رائحته الدافئة، وقوة الجسد الرجولي، تسببت برعشة أدركت جورجي كنهها، فتملكها شيء من الاشمئزاز لضعفها.

قالت بحدة قدر ما استطاعت: «لم أخطط لأخرج، إذا كنت تذكر. . وهذا الشيء الوردي كما تسميه، هو كنزة من الكشمير الباهظ الثمن كلفتني ثروة صغيرة».

شدّها إليه أكثر، ليصبحا متلامسين.

وحاولت دفعه، لكن كان الأمر أشبه بدفع فولاذ صلب.

ـ مات. . أرجوك.

ـ نعم جورجي؟

وتحركت عيناه إلى شعرها الذهبي لحظة.

ـ أنا. . يجب أن أدخل.

كان الرد صارماً قدر استطاعتها، لكنه لم يخفف من قبضته ذرة.

ـ حسناً. . لكنك ستكررين أولاً مايلي:

«سأكون جاهزة ومنتظرة حين تصل ليلة غد لتأخذني مات».

ـ لكنني قلت لك إنني لست بحاجة لأن أرى منزلك.

ـ لا. . هذا غير صحيح. . سأكون جاهزة ومنتظرة حين تصل ليلة الغد لتأخذني مات.

ـ مات؟

وحاولت التملص لكن من دون جدوى.

ـ سيرانا روبرت.

ـ عظيم.

ـ سأصرخ.

ونظرت إليه بقسوة، ورأت أنه يتسلى. . أوه هذه سخافة! كيف

بدوان الآن؟ لكنه لن يستسلم، تستطيع رؤية هذا على وجهه الأسمر الجذاب العدائي. . حسن جداً. . زيارة سريعة إلى منزله لن تضيرها. . أليس كذلك؟ يمكنها أن تتحجج بأن عليها العودة في الوقت المناسب لتحضير عشاء الولدين، وما إلى ذلك:

ـ حسناً سأكون جاهزة حين تصل ليلة الغد لتأخذني مات.

لانت عيناه الرماديتان لتصبحا ناعمتين.

ـ لم يكن هذا سيئاً. أصل إلى المكتب عند الخامسة. أيناسبك هذا؟

ـ يجب أن أكون في المنزل لأحضر الشاي للولدين.

تمتم: «سندريلا القرن الواحد والعشرين. . لكنك أولاً ستذهبين إلى الحفلة الراقصة».

وضمها إليه بقوة وقسوة إلى أن انقطعت أنفاسها، ثم أبعدها عنه وصعد بنعومة إلى اللامبرغيني.

كانت لا تزال تقف حيث تركها بالضبط، ويدها تتلمس خدها الملتهب حين هدرت سيارته وتركت الطريق الداخلية إلى الشارع.

ثم. . اختفى.

* * *

٥ ـ سفينة النجاة

لم تنم جورجي كثيراً تلك الليلة. فقد أمضت ساعات الصمت الطويلة وهي تحاول أن تفهم مشاعرها.

لطالما سيطرت على نفسها خاصة في السنوات الأخيرة. فما إن استعادت عافيتها من صدمة غلين، حتى غيّرت تفكيرها. وعرفت تماماً خياراتها، ووجهتها، وأهدافها. أما الآن. . فلم تعد واثقة، وهذا يرعبها. .

لسبب ما، بدا لها أن وجه مات استولى على تفكيرها. وهي لا تريد ذلك. بل يمكنها أن تتخلى عن أي شيء لتمسحه من ذاكرتها. لكنه بقي.

جلست أمام نافذة غرفة النوم، ثم استدارت لتنظر إلى الخارج، حيث وقف طائر مغرد على شجرة نحاسية اللون أمام النافذة. نظرت عيناه السوداوان البراقتان إليها لحظة، ثم تردد، قبل أن يرتفع من السماء متناسياً الأرض وأخطارها. هي أيضاً يجب ألاّ تتردد. . وهزت رأسها إيجاباً لهذه الفكرة، وكأنها تلفظت بها عالياً. لقد أوضح لها مات أنه يريدها لسبب واحد فقط، وإذا لم تتناسه وتنجو بنفسها، كما فعل ذلك الطير، فسوف يصفق بجناحيه مبتعداً مثلما فعل غلين. . لقد شفيت من جرح غلين، لكن لديها إحساس أن مات دو كابسترانو رجل لا يمكن الشفاء منه.

عند الساعة الخامسة استحمت، وفي السادسة ارتدت ملابسها ونزلت إلى الطابق السفلي، لتحضر الفطور للجميع، ونظرت حولها تتأمل المطبخ الصغير. ما رأي مات بهذا البيت؟ فنمط حياته مختلف تماماً حتى

يكاد يكون عالماً آخر. لديه خدم ينفذون رغباته، ويقدمون له الفطور، ويتسابقون لتنفيذ أوامره. وفي حياته العاطفية كانت واثقة من أنّ الكثير من النساء الراغبات يقدّمن له ما يريد! إنه ثري، لا رحمة في قلبه، أناني وفارغ.. إنه كذلك. وكررت هذا في سرّها، لكنها لم تسأل نفسها لماذا تحاول أن تقنع نفسها بمساوئه.. وأكدت لنفسها أنها تراها بوضوح الآن.

وبقي الوضوح حتى لحظة لقائها مات.

وصل في الخامسة تماماً، وأخذها من المكتب بعد أن تبادل بضع كلمات مع روبرت سراً. وحين دخلت سيارة اللمبرغيني الطريق الداخلية الملتوية، بعد يافطة تقول «أملاك خاصة.. الدورادو» استدارت إليه بعينين متسائلتين.

ردّ على سؤالها: «الإسم يعني الأرض الذهبية.. أرض ريفية مليئة بالذهب والأحجار الكريمة».

عندما وصلا أوقف السيارة في آخر الطريق الداخلية التي اتخذت شكل حدوة جواد.

وقال بهدوء: «تعالي وتأملي الداخل أولاً، ثم سأريك أين نستطيع إقامة حفل الشواء إذا كان الطقس ممطراً وبالطبع مكان الألعاب».

أعطت لكنته جاذبية غريبة لكلماته، جعلت قلبها يرتجف قليلاً. قالت، وهما يسيران نحو سلم حجري ضخم يؤدي إلى باب كبير من خشب السنديان: «هذا مكان رائع جداً. هل اضطررت إلى اجراء إصلاحات كثيرة ليصل إلى هذه الحالة؟».

ـ كان المكان مهجوراً متداعياً حين اشتريته.

وأمسك ذراعها وهو يفتح الباب الأمامي الذي يؤدي إلى ردهة فخمة مغطاة بألواح خشبية من السنديان العتيق، اكتست لوناً ذهبياً تحت أشعة الشمس المتسللة من نوافذ ضيقة فوقهما.

ـ لايدي عجوز.. ابنة مالك المزرعة الأصلي، عاشت هنا، وحدها لسنوات، ورزحت تحت عبء الديون، فتداعى المنزل من حولها.

ـ يا للأسف.

أقفل مات الباب الأمامي، فأخذت جورجي تتفرس في السلم المحفور على بُعد ياردات والذي بدا تحفة بحد ذاته، وسألت: «ولماذا قررت أن تبيع في النهاية؟».

رد باختصار: «لقد زاد التهاب مفاصلها بحيث لم تعد تستطيع أن تتحرك».

ـ يا للمسكينة.

وأخذت تتأمل لوحة رائعة على الجدار.

ـ لا بد أنها كرهت ترك بيتها.

ـ ليس المنزل بقدر الحيوانات التي تربيها.. كان عليها أن تذهب إلى مركز طبي لتتلقى العناية المناسبة.. لكنها استخدمت المنزل والحدائق كملاذ لما تبقى من مواشي والدها والحيوانات الأليفة التي تربيها، والتي كبرت في السن معها.

شيء ما في صوته جعل عينيها تركزان عليه. ولو أنّ المتكلم غير مات دو كابسترانو، الثري المتحجر القلب، والمقاول البارع، لأقسمت أن الحنان يلون كلماته حين يتحدث عن السيدة العجوز.

سألت بلطف: «وماذا حدث لها؟ للحيوانات؟».

عاد صوته ليكون متصلباً ومن دون تعبير: «بإمكانك رؤية بعضها إذا أحببت».

وقادها عبر الردهة المغمورة بالشمس، وعندما وصلا إلى الطرف الآخر، فتح باباً قادهما إلى ممر عريض مدهون باللون الأبيض.

عندما انفتح الباب رنّ جرس في مكان ما، وما هي إلاّ لحظات حتى ظهرت امرأة ضخمة، من باب في نهاية الممر، واندفع عدد من الكلاب إلى الخارج وسط مزيج من النباح والعواء.

توقفت جورجي بغتة وحدقت بوجهه الصارم: «وهل تحتفظ بها؟ لقد استبقيت حيوانات العجوز المدللة؟».

وكانت المرأة، التي خمّنت جورجي أنها مدبرة منزل مات، قد وصلت إليهما وأجابت: «أجل. هذا ما فعله يا ابنتي..».

وبدأت تعيد الكلاب إلى الغرفة التي خرجت منها، ثم أضافت: «الدينا هنا مركز للعناية بالشيخوخة أكثر من مركز العناية حيث الآنسة بارتز، باركها الله».

ثم استقامت ومدت يدها: «أنا روزي، مدبرة منزل السيد دو كابستراتو. ويسرّني لقاؤك ابنتي».

ولا بد أن جورجي ردت بالمثل، فقد استمرت الأمور بشكل طبيعي بضع دقائق. بعدئذ، لحقت بمات وبروزي التي عادت إلى المطبخ الضخم. وراح رأس جورجي يدور. وشعرت برغبة غامرة في أن تهرب. هذا خطر. هذا المكان، هذا الرجل إلى جانبها، كل هذا. لن يبقى حيث صنّفته في ذهنها، وحيث يجب أن يبقى.

استمر هذا الإحساس، بعد جولة في المنزل الذي حوّله مات إلى مكان رائع. ثم أخذها إلى الخارج، إلى الأراضي المحيطة.

لقد التقت بمن تسميهم روزي «مزعجي الداخل». خمسة كلاب وعدد من القطط. أما في الحقول خلف المنزل مباشرة، وإلى جانب الاسطبل، فقد رأت قطيعاً صغيراً يضم عشرة خراف، وحمارين، وجياد مسنة، فضلاً عن ثورين هزيلين.

قال مات بخفة: «تعالي وانظري إلى حيواناتي الاخرى..».

لحقت به إلى الإسطبل، حيث كان سائسه يعمل. وانضم الفتى إليهما حين قدّم لها مات جوادين عربيين أصيلين وفرساً مرقطة ومهراً صغيراً.

حسن جداً. إنه لطيف مع السيدات العجائز والحيوانات إذن..

قالت هذا في سرّها وهي تصغي إلى الرجلين يتحدثان عن ميّزات علف جديد في السوق. لكنها ليست عجوزاً أو حيواناً، ولقد نسيت هذا عند إحساسها بالخطر. لقد سبق وأوضح تماماً نوعية العلاقة التي يريدها.. جسدية، وليس فكرية. إن الانجذاب الجسدي الذي يشعر به نحوها سوف

يبرد في النهاية.

إنها ليست «المرأة الغاوية» مثل سكرتيرته أو النساء اللواتي يحظن به في العادة. وعالمه غريب عن عالمها مثل.. فتشت في رأسها عن تشبيه ملائم، لكنها عجزت عن ايجاد أيّ واحد مناسب.

مررت أصابعها على جلد أحد الجوادين الحريري الخشن. الإعلان عن سكرتيرة بديلة لروبرت، سيظهر في صحيفة الغد، وتأمل أن تخرج قريباً من فلك مات ولن يطول الأمر برجل مثله لينساها.

ـ رائع. أليس كذلك؟

الدفء في صوت مات جعلها تترك الجواد لتستقر عيناها على وجهه، واستدار في اللحظة عينها، لينظر إليها وسألها بهدوء: «هل تركبين الخيل؟».

ـ لا.

ـ هل تحبين أن تتعلمي؟

هزت كتفيها بدون اكتراث، وأدارت وجهها عن الاسطبل وأنف الجواد المخملي الذي أطل متسائلاً من فوق الباب النصفي. وقالت بخفة: «آني هي الفارسة، ستجنّ في هذا المكان».

ـ تجنّ؟

ـ أعني أنها ستحبه. إنها مجنونة بحب الحيوانات مع أن روبرت وساندرا لم يرغبا يوماً فيها. سيكون ملاذ الحيوانات لديك جنة على الأرض بالنسبة لها.

سأل بسخرية ناعمة: «إذن، سأرضي أحد أفراد عائلة ميليت على الأقل؟».

تجاهلت قوله، واستدارت عند مدخل الإسطبل، تلوح للسائس تودعه.

ما إن أصبحت في الخارج، في جو آيار اللطيف، حتى نظرت حولها وهي تقول: «اتفقنا على أن تريني أين نستطيع إقامة حفل الشواء والقاعة،

إذا كان الطقس ممطراً».

ـ هذا صحيح . . من هنا سيدتي .

وقلّد تصلبها، وصوتها الجاد، فودّت جورجي أن ترفسه، بقسوة .

بدا المبنى الضخم، إلى يسار المنزل وكأنه مخزن غلال كبير . . لكن حين فتح مات الأبواب الخشبية، ودخلا، رأت جورجي أن المكان قد حوّل إلى قاعة ضخمة، ورأت ما يشبه المقهى الكامل التجهيزات .

سألها مات بارتياب ساخر: «هل ينفع هذا؟» .

هزت رأسها متوترة . . وشعرت فجأة، بطول قامته وعرض كتفيه وهو إلى جانبها فتملكها الذعر .

ـ إنه مكان لطيف جداً .

ـ وهل لاقت البركة استحسانك؟

كانت البركة تتناسب مع منتجع صحي أكثر من منزل خاص . . فقالت على مضض: «إنها جميلة» .

اقترح بنعومة: «لماذا لا نسبح قبل العشاء؟» .

ـ لا أحمل معي ثوب سباحة .

وصمتت . . ثم سألت: «قبل العشاء؟» .

أغمض عينيه للحظة أمام الصيحة الحادة وقال بصبر: «الناس يسبحون جورجي . . وهذه هي الطريقة المتمدنة للعيش . . ولدي غرفة مليئة بثياب السباحة الملائمة» .

نظرت إليه، توبخ نفسها لأنها وثقت به ببلاهة، وقالت ببرود لاذع: «لقد وعدتني أن تعيدني مباشرة إلى المنزل، يجب أن أهتم بالتوأم» .

قال بهدوء: «لا . . لا حاجة لذلك. لعل روبرت مجرد رجل، لكنه قادر على أخذهما لتناول العشاء في الخارج ثم وضعهما في الفراش، فهو والدهما على أي حال . . إضافة إلى . . » .

وتردد، فنظرت جورجي إليه بعينين خضراوين ملتهبتين وقالت بحدة: «نعم؟» .

ـ يجب أن يعتادوا على الحياة معاً . . وأنت تقفين في الطريق .

كانت صراحته لا تغتفر . ولم تصدق جورجي أذنيها: «ماذا؟» .

ـ أنت تدفعين بروبرت إلى الخارج . وتغدقين على الولدين حباً مبالغاً فيه . . بعد فترة وجيزة، سيصبحان ولدين مزعجين إذا لم تكوني حذرة .

ولم يكن هناك في العالم ما يمكن أن يمنع يدها من صفع بشرة وجهه السمراء، وتردد صدى الصفعة في المخزن للحظات، فيما وقفا مسمرين مصدومين، ينظر أحدهما إلى الآخر . . مات بوجه كالحجر وجورجي بعينين متسعتين .

ـ كيف تجرؤ؟ كيف تجرؤ على قول هذا وأنت لم تلتق بدايفد وآني سوى مرة واحدة؟ إنهما ولدان رائعان .

قال موافقاً بتزمت: «أعرف هذا . . وأنا أتكلم عما قد يحدث في المستقبل» .

نعتته باسم جعل عينيه تتسعان وأدهشهما معاً . . وأكملت بغضب شديد: «أريد العودة إلى البيت فوراً» .

لكن غضبها لم يكن إلاّ يخفي الرعب الذي أخذ يتملّكها وهي ترى العلامات الحمراء على بشرته .

ضاقت عيناه، وعرفت أنه يعني ما يقول: «مستحيل، سوف تبقين هنا، وتتناولين العشاء معي، شئت أم أبيت. ولو فكرت قليلاً بما قلته، لرأيت مدى صحته» .

سألت بجنون: «إذن، أنت تقول إني أفسد التوأم وأمنع أخي من رؤية أولاده؟» .

ـ أنا أقول . .

وتوقف . . ليخفف من حدة لهجته: «أنا أقول إنه يجب أن تتركيهم وحدهم لبعض الوقت بين الحين والآخر. متى كانت آخر مرة أوصل فيها روبرت ابنه دايفد إلى حمام سباحة، أو رافق آني إلى دروس ركوب الخيل؟ متى وضعهما في الفراش، وأصغى إلى ما حصل معهما في

يومهما؟ متى. . جورجي؟».

حدقت فيه مصدومة وصامتة.

وأكمل الصوت الأجش القاتم من دون رحمة: «يحتاج دايفد إلى أن يشاهد والده مباراة كرة القدم التي يشارك فيها بين الحين والآخر. . وهذا ضروري وصحي».

ردّت بقوة: «لقد واجه روبرت ما يكفيه مع موت ساندرا».

ـ مبدئياً نعم.

وساد صمت قصير قبل أن يتابع: «لكن، مر على هذا ستة أشهر جورجي. وهذا وقت طويل في حياة طفل. ولقد اعتاد روبرت تركك تلعبين دور الأم والأب. وأشعر أن زوجته ساندرا، ما كانت لترضى بهذا».

ـ أنت لا تعرفها!

تركزت العينان الرماديتان على وجهها: «هذا صحيح. ولهذا السبب أستطيع أن أتكلم بتجرد. . أحياناً يلزمنا شخص غريب ليرى ماذا يحدث. . وأنا لا أشك في حبك لأخيك وولديه، لكن، لا يمكن أن تحلّي محل أمهما. أنت عمتهما. . وعزيزة بكل تأكيد. . لكنك ستقعين في المتاعب إذا حاولت أن تكوني كل شيء لكل واحد منهم».

أين ذهب ذلك المغازل العابث التافه؟ إنها لا تراه في هذا الرجل الذي يتكلم بهدوء وتصميم. . وأخافها هذا حتى الموت، وتحدياً لهذه الفكرة، قالت بصوت حاد: «أنت تقول كل هذا الكلام عن روبرت والولدين لغرض ما وأنت تعرف ماذا تريد فعلاً! أنت لا تهتم بهم، أنت تستغلهم لتنفذ ما تريد. أنت كالآخرين».

بدا عليه الغضب. . الغضب الحقيقي. وتحركت عضلة في فكه بعصبية، وقست عيناه الرماديتان كالفولاذ. . لكن صوته بقي هادئاً وهو يقول: «سأتجاهل قولك هذا لأنه لا يستحق الرد. أنت امرأة شابة في الثالثة والعشرين، ومع ذلك تتصرفين كعجوز قيّمة على الأجيال القادمة.

متى تخرجين لتستمتعي بوقتك جورجي؟ متى تمرحين؟ متى تتركين شعرك مسترسلاً على كتفيك؟».

ردّت بحيرة وعدوانية واضحة: «مع رجال تقصد؟. . لا تحتاج النساء للعبث لقضاء وقت ممتع. وهذه طريقة حياتي. .».

ـ لدي إحساس قوي أنك لم تغادري المنزل منذ ستة أشهر. . هذه ليست حياة، وحتى ذكرك لسايمون ذاك لم أصدّقه.

ـ أرجو عفوك؟

لا بدّ أنه حصل على هذه المعلومات من روبرت. ولم تصدق أن أخاها خانها بهذه الطريقة. لكنها استدركت بعد ثوان، فمات يعرف كيف يصيغ سؤاله ليحصل على رد كامل، ولا بد أن روبرت لم يدرك أنه يخضع لاستجواب.

احتجت برزانة غاضبة: «أنا لم أحاول أن أدفعك لتصدّق أي شيء».

نظر إلى وجهها الغاضب، وأجاب: «هذه مسألة رأي».

بعد لحظة رأته يأخذ نفساً عميقاً ويسترخي بشكل ظاهر وهو يرجع شعره إلى الوراء في حركة تعكس التوتر والإحباط: «اللعنة. . لم أشأ أن تأخذ الأمور هذا المنحى».

رفعت رأسها عالياً، وحدقت فيه قبل أن تستدير لتخرج من مخزن الغلال. . لكنها لم تتقدم سوى خطوات حتى أمسك بذراعها، وأدارها لتواجهه. . وسأل بتواضع يثير السخط: «هل سيمحو ما قلته إن قلت لك إنني لو كنت في عمر التوأم لاخترتك مثالي الأعلى؟».

فصاحت بحرارة: «لا».

ـ أو أنني أعتقد أن روبرت أكثر الأخوة حظاً في العالم، وأنك قدت سفينة ميليت الطيبة في مياه مضطربة إلى شاطىء الأمان؟

ـ لا. . مرة أخرى.

في الحقيقة كانت تجد صعوبة في كبت دموعها. لكنها تفضل الموت على أن تدعه يعرف هذا. لعلها تحاول أكثر من اللازم أن تعوّض التوأم عن

خسارة والدتهما لكنها ما زالت تتذكر شعورها يوم كانت في العاشرة من عمرها بعد أن فقدت والديها، وانهار عالمها من حولها. . لكن الأمر مختلف بالنسبة لدايفد وآني. . صدقها أجبرها على الإقرار بهذا رغماً عنها. فها هي تشجع روبرت على أن يجلس مكتئباً بدلاً من أن يتحمّل حصته من المسؤولية. . أوه. . اللعنة!

ـ جورجي؟

رفعت عينيها المصدومتين إلى وجه مات فرأت أنه يراقبها عن كثب.

وقال برقة: «أن يكون قلبك طيباً ليس جريمة. . الدلال والعناية الزائدة الآن أفضل لهما من الإحساس بالضياع».

لو تابع كلامه بصوته البارد، لتعاملت معه، ولبقي غضبها سارياً وقوياً. لكن كلماته الأخيرة، ولطفه ورقته أخَلَّت في دفاعاتها.

ـ أريد. . أريد العودة إلى المنزل.

وارتجف صوتها بذعر. لكنها بقيت تقاوم الدموع حتى شدها إلى ما بين ذراعيه، وضمّها إلى دفء جسمه الصلب. وسكبت ما في عينيها، بنحيب لا يليق بسيدة، وشهقات لا تتناسب أبداً مع كل ما جرى.

وعجزت عن أن تشرح له، أن دموعها هي دموع الفتاة المضطربة ذات العشر سنوات، بقدر ما هي من أجل روبرت وآني ودايفد. . وبسبب قسوة غلين ومعاملته، وبسبب الذل واليأس اللذين أحست بهما في ذلك الوقت. . ومن أجل ساندرا. .

تركها مات تبكي طويلاً، ولم يحاول طرح أيّ أسئلة وهو يضمها إلى صدره، ليهدئها. ومع تراجع سيل الدموع على قميصه المبلل، اجتاح جورجي حرج بسبب دموعها المخزية. . كيف استطاعت. . كيف استطاعت أن تفقد سيطرتها على نفسها هكذا. . وأمام مات دو كابسترانو من بين كل الناس؟ ماذا سيعتقد؟

قال بصوت منخفض ناعم، ويداه دافئتان مهدئتان على ظهرها:

ـ أظن أن هذا مكبوت منذ زمن بعيد. . هل أنا على حق؟

تصلبت جورجي قليلاً.

وتابع: «أنا لم أقصد أن أدفعك إلى البكاء».

علا وجهها احمرار شديد أحست به: «لم تكن أنت السبب».

لكنها لا تستطيع البقاء بين ذراعيه إلى الأبد. . وهكذا ابتعدت عنه. . لكنه لم يكن على استعداد لتركها. . ومسحت أنفها المحمّر وهي تعرف أنها لا تبدو في أحسن حالاتها.

ـ هل لديك منديل أستطيع أن أستعيره؟

ـ بعد لحظة.

وتابع النظر إلى وجهها الدامع المبلل، وإلى عينيها الخضراوين المذهلتين الجميلتين.

ـ إذا لم يكن السبب ملاحظاتي الخرقاء، فما هو إذن؟

ـ أنا. . لا أعرف، الكثير من الأمور.

وسمعت صوتها يرتجف بشيء من التوتر الحقيقي، يجب أن تكون قوية وحذرة بحضور مات. . وأكملت: «لقد تعرّض الجميع لكثير من الضغوط».

ـ وأنت كنت شجاعة جداً.

أوه. . يا للجحيم! إن استمر على هذه الحال فلسوف تنتحب على صدره مجدداً. . وبدأت الدموع تحرق عينيها. .

هزت كتفيها، وحاولت الخلاص من ذراعيه لكن من دون جدوى.

ـ ليس في الواقع. . أعتقد أنّ وضع التوأم قريب جداً مما عانيته وأنا طفلة، بحيث أصبح من الصعب أن أفرّق بين الموقفين في ذهني، مشاعري القديمة تقف في الطريق أحياناً.

ـ اشرحي لي كيف.

وتركها ليفتش في جيوبه عن منديل، لكن بعد أن أعطاها إياه، وبدأت تجفف وجهها، عادت الذراعان القويتان لتضماها مجدداً، لكن بخفة. . .

فكرت جورجي بشيء من الهستيريا، أنّ هذا لن يشكل فارقاً كبيراً،

فالجسم الكبير الصلب، ورائحته المثيرة للدوار، تلفها وتجعل رأسها يدور. . لم يخطر في بالها حتى في أحلامها الأكثر جنوناً، بأن الجاذبية الجسدية يمكن أن تكون قوية إلى هذا الحد. . لكنها أحست بالوهن في ساقيها.

أخذت نفساً عميقاً، ، وبدأت تشرح الظروف التي أوصلتها إلى منزل روبرت، وهي لا تزال تمسك بالمنديل في يدها.

أصغى إليها من دون مقاطعة إلى أن انتهت. . وظهر في صوته نوع من الارتباك وهو يقول: «صغيرة جداً. . ورقيقة جداً. . تبدين من النظرة الأولى. .».

فأنهت جملته بشيء من الحدة: «الشقراء البلهاء؟».

وتراءت لها ذكرى أول لقاء بينهما. لقد ظن أنها من النوع الذي يقضي وقته على الهاتف في حديث تافه مع بلهاء أخرى!

لكنه صحح لها كلامها بهدوء: «بل الرقيقة المعرضة للكسر، لكنك في الحقيقة. .».

ـ قوية كحذاء قديم؟

وقالت هذا عمداً. . كي تزعجه وتشتت المزاج الحميم الذي خلقه من دون جهد، ولتتأكد من أنها لن تُخدع بهذا الجانب الجديد منه.

أمال رأسه إلى الجانب: «بل امرأة قوية وشجاعة، لكنك لم تذكري لي بعد اسمه».

ـ اسم من؟

حاولت إخفاء اجفالها الغريزي من استراتيجيته الظالمة، لكنها عرفت أن نظرته الثاقبة، سجلت رد فعلها.

قال بهدوء: «الرجل الذي جعلك تبنين هذه القوقعة حول نفسك».

لن يحصل على ما يريد! ونظرت إليه، ثم قالت بثبات: «يمكن أن أسألك السؤال ذاته مات. . لقد أخبرتني أنك لا تؤمن بالحب، ولا بد من سبب لهذا».

تراجع إلى الوراء يتفرس في وجهها، غير قادر على إخفاء دهشته. ثم ضاقت عيناه ووقعت يداه على جانبيه. . فعرفت أنها أصابت وتراً حساساً. . لكن، ما أزعجها أن هذا لم يمنحها الشعور الذي تتوقعه.

رد بصوت بارد، متحفظ: «لقد سجلت نقطة آنسة ميليت».

وبالرغم منها أحست بخسارة الدفء الذي ساد من قبل. . وأكمل:

ـ إذن كلانا. . واقعي. . أليس هذا ما تقولينه؟.

لم يكن هذا ما قالته، ويعرف هذا.

مد يده إليها. . وعيناه الرماديتان تتأملان وجهها الذي يشبه القلب.

ـ تعالي. . أعرف ما سيجعلك تسترخين ويحسّن حالك.

وانطلقت مخيلتها بجنون. فرفعت نظرها إليه بارتياب، وسألت بصراحة: «وما هذا؟».

وارتسمت على وجهه ابتسامة من النوع الخبيث: «السباحة. . وما غيرها؟ لدي الكثير من أثواب السباحة في إحدى غرف الملابس. وستجدين شيئاً مناسباً لك، أنا واثق من ذلك. نستطيع أن نسبح قليلاً، ونشرب بعض العصير، ثم نغيّر ثيابنا لنتعشى فيما بعد».

ـ قلت لك إنني لن أبقى على العشاء.

ـ وأنا قلت إنك ستبقين.

ثم تغير تصرّفه وهو يضيف: «أريد أن أمنحك أمسية لطيفة بعيداً عن واجباتك ولو لمرة واحدة جورجي. . فهل هذه جريمة؟ كما وافق روبرت حين اقترحت عليه هذا».

ازداد احمرارها، وراحت العينان الرماديتان تسخران منها. . وأكمل: «أعدك بأن أحسن التصرّف طوال الوقت. . هل يناسبك هذا؟ سأعاملك كما أعامل عمتي العانس».

كان يقف أمامها، طويلاً وخطيراً. ذراعاه مطويتان على صدره العريض وقميصه المفتوح يكشف عنقه البرونزية، وابتلعت جورجي ريقها بصعوبة، إنه رجل مستحيل. . وموقف مستحيل! وسمعت نفسها تقول

بشيء من الخشية: «حسن جداً. . لكن سنتناول العشاء فقط، من دون سباحة».

بالكاد تتدبر أمرها، وهي ترتدي ثيابها، فكيف ستفعل وهي بلباس السباحة؟

سألها بهدوء: «ألا تجيدين السباحة؟».

ردت على مضض: «بلى».

قال بحزم: «إذن، هذا ما سنفعله».

ثم مد يده مرة أخرى، ليأخذ يدها وكأن له الحق في أن يلمسها متى أراد. . ووجدت نفسها تسير إلى جانبه وهما يعودان إلى المنزل. . وقد تلاشت لديها أيّ رغبة في الجدال.

***

٦ ـ صداقة. . ولكن

بعد ساعة، كانت جورجي مستلقية على كرسي مريح قرب البركة تشرب كوكتيل فواكه استوائية، واعترفت لنفسها بأنها تقضي وقتاً رائعاً.

ولا يمكنها أن تنكر أنها عرفت لحظات صعبة. . أولها حين وقفت في غرفة الملابس التي تستخدمها نساء مات ونظرت إلى الصف الطويل من ملابس السباحة الصغيرة الحجم. . وتمكّنت أخيراً من أن تجد ثوباً من قطعة واحدة محتشماً أكثر من الأثواب الأخرى.

وتجاهلت عشرات الأغطية الشفافة، التي تحاكي برقتها شباك العنكبوت وبجمالها قوس القزح. . وأخذت إحدى العباءات، ارتدتها فوق ثوب السباحة وشدّتها جيداً حول جسمها.

نظرت إلى المرآة الكبيرة التي تحتل جداراً كاملاً، وراحت تتأمل صورتها فيها. لم يكن يظهر منها سوى قدميها ويديها! ولسوف تحاول أن تجد الشجاعة اللازمة لتخلع العباءة في ما بعد. . لباسها هذا أعطاها الشجاعة لتترك الغرفة ورأسها مرفوع، وظهرها مستقيم.

لكن قرارها البارد، اضطرب حين وجدت مات يخرج من البركة.

أجبرت نفسها على أن تسير نحوه فرفع يده بعفوية ليرحب بها. . جفّ فمها، وتعرّقت راحتا يديها، لكنه انحنى ليصب الكوكتيل وهي تقترب، مما سمح لها بأن تستجمع شجاعتها.

قدّم لها كأسها، ثم رفع كأسه مرحباً: «نخب أجمل عمة عانس،

ونخب أمسية لطيفة للتعرف على بعضنا البعض أكثر».

وجدت جورجي صعوبة في التركيز على أي شيء ما عدا البشرة التي لوحتها الشمس، لكنها بطريقة ما، وجدت القوة لتقول وبصوت يشابه الصوت الطبيعي: «لأمسية لطيفة».

ورفعت كأسها إلى شفتيها: «همم. . إنه رائع. . ماذا فيه؟».

- برقوق بري، موز، وتوت عليق مع مياه غازية. . ومكوّنات أخرى هي سرّي الخاص. لقد اخترعت هذا الكوكتيل منذ بضع سنوات، وودّ الكثيرون معرفة مكوّناته.

شربت جرعة أخرى: «وماذا تسميه؟».

- البداية السريعة.

نظرت إليه بغضب: «لقد اخترعت الاسم لتوك».

- وهل يمكن أن أفعل شيئاً كهذا؟

كان صوته شديد النعومة، فارتجفت بالرغم من دفء المكان.

سألها بدهشة: «هل تشعرين بالبرد؟».

- لا. . ليس بالضبط.

كادت تختنق اضطراباً، وأحسّت بضعف في ركبتيها. . وفي هذه اللحظات لم يكن البرد مشكلتها!

ابتسم بسهولة: «عظيم. . إذن، أنهي هذا وتعالي لنسبح».

شعرت بعدم الراحة وهي تخلع العباءة، وأحست بعيني مات تتأملانها، بالرغم من أنها لم تستطع أن تنظر إليه. لكن الوقت الذي تلا امتلأ بالضحك والمرح. راح مات يتصرف كولد صغير وهو في البركة، فيرشها بالماء ويمسك بكاحليها إلى أن اضطرت لأن ترد عليه بالمثل. . وأمضيا وقتهما في الهرج والمرج والسباحة.

بعد نصف ساعة، أو ما يقاربها، خرجت من البركة، وشربت الكوكتيل مرة أخرى وهي مستلقية على أحد الكراسي، وراحت تراقبه يقطع البركة بسهولة ومن دون جهد.

مضت عشر دقائق أخرى قبل أن ينضم إليها، وانكمشت عضلات معدتها حين خرج من الماء وسار إلى الكرسي قربها. كان الأمر مريحاً وهي مستلقية شبه مسترخية، تشرب العصير، وذلك الرجل القوي في الماء. . لكنه اختلف تماماً حين أصبح على بعد خطوة منها.

وتساءلت في سرّها عما إذا كان عليها أن تعود لتغطية نفسها من رأسها إلى قدميها بالعباءة. لكن، وبسبب ارتفاع الحرارة في محيط البركة، رأت تصرفها سيبدو سخيفاً، كما أنها امرأة ناضجة. . وليست مراهقة بلهاء. .

وحين جلس قدّمت له كأسه مع ابتسامة وتبادلت معه الحديث، ثم عادت تستلقي إلى الخلف مغمضة عينيها. وفكرت في أن هذه الأمسية أراحت أعصابها كما لم يحصل منذ زمن طويل جداً. .

ولم تكن تعرف ماذا تتوقع فيه. . لكن بعد قليل تجرأت على فتح عينيها وألقت نظرة إلى جانبها.

كان مات مستلقياً على كرسيه، مسترخياً تماماً كما هو ظاهر. عيناه مغمضتان وجسمه الرطب متمدد. قطبت جورجي. . فهو لم يأت بحركة، ولم يحاول أن يلمسها، ثم أحست بوجهها يحمّر لتناقض أفكارها، فهي لا تريده أن يفعل! بالطبع لا تريد. . ماذا دهاها بحق الله؟

- لطف كبير منك أن تسمح لمجموعة من الغرباء بأن تغزو منزلك. . خاصة وأن معظمهم من الأولاد المزعجين.

- هذا من دواعي سروري.

ما باله بحق السماء؟ توترها لم يكن عادلاً. .

فجأة أحست برغبة قوية في أن تتكلم، وأن تعرف المزيد عن هذا الرجل الغامض إلى جانبها. هناك مجموعة كبيرة من الأسئلة في دماغها، وكلها أسئلة شخصية. أرجعت إلى الوراء خصلة شعر أشقر عن خدها، وابتلعت ريقها بصعوبة، قبل أن تصل إلى حل وسط بسؤالها: «هل تتمكن من قضاء الكثير من الوقت في منزلك في إسبانيا؟».

فتح عينيه، وركز نظرة ثاقبة عليها للحظات قبل أن يجلس ويقول:

«ليس بقدر ما أتمنى. . رزقت شقيقتي بولد منذ ثلاثة أشهر ولم أره سوى مرتين. . فقد كانت الفترة الأخيرة صعبة في عملي، بسبب عملية شراء معقدة هنا في أنكلترا. لحسن الحظ أن الجانب الإسباني من العمل، يسير بشكل جيد في هذه الآونة، ووجود صهري على رأس الشركة هناك يريحني».

سألت بحذر: «وهل لديك عائلة من جهة أمك هنا في انكلترا؟».

ـ لدي خال.

وتحرك ليواجهها، فتسارعت خفقات قلبها: «لقد أسس مع والدي الجانب الإنكليزي من العمل إضافة إلى جديّ الإنكليزيين، وهما الآن متوفيان. . إلاّ أن خالي لا يعمل كثيراً في هذه الأيام».

وأرادت أن تسأله عن بيبيتا. . لماذا لم يتخذ لنفسه سكرتيرة إنكليزية؟ لقد أحست بتقارب ما بين مات والمرأة الإسبانية الجميلة، أعمق من روابط العمل. . لكن يمكن أن تكون مخطئة. . مع أنها لا تظن هذا. وترددت لا تعرف كيف تصيغ السؤال. . ثم سألت: «هل تحسّن كاحل بيبيتا؟».

ـ أجل. . أعتقد هذا.

وكان رده حازماً وعنيداً جعل جورجي أكثر تصميماً على المتابعة.

سألت بصوت محايد: «هل تسافر معك من وإلى إسبانيا؟».

وفُتح في هذه اللحظة باب ونادت روزي: «العشاء بعد ربع ساعة سيد دو كابسترانو».

ـ شكراً لك روزي.

ووقف وهو يتكلم، ثم مد يده لجورجي وأكمل بهدوء: «لا شك أنك سترغبين في أخذ حمام قبل العشاء، ستجدين كل ما تحتاجين إليه في غرفة الملابس».

هل تعمد ألاّ يجيبها، أم أن السؤال ضاع مع مقاطعة روزي؟ ولم تكن جورجي متأكدة، لكن اللحظة فاتت. . ورفعت نظرها إليه، لكن قبل أن

تأخذ يده قال: «أنا لا أعض جورجي».

وانحنى ثم شدها لتقف.

للحظة كاد يتوقف قلبها عن الخفقان خاصة حين التصقت بصدره القوي العضلات. . بدا شعرها أشعث وخداها متوردان وعرفت أنه سيعانقها. . لذا صدمت حين أبعدها بحزم وقال بصوت بارد: «ستجدين المناشف في إحدى زوايا الحمام».

ـ شكراً لك.

هل عرف أنها توقعت منه أن يعانقها؟ على الأرجح. . وتأوهت بصوت منخفض وهي تقف تحت المياه الدافئة في الحمام بعد أن نظفت نفسها برغوة صابون عطر. .

وتأوهت مجدداً قبل أن تتماسك. . إنها ليست راضية. لعلها مرت بلحظة ضعف، لكن هذا كل ما في الأمر.

ونظفت شعرها بسرعة قبل أن تغتسل وتجفف نفسها بمنشفة كبيرة ناعمة. على الرف الخشبي تحت المرآة رأت مستحضرات للرجال ومجموعة واسعة من أدوات التجميل النسائية.

تجاهلت جورجي كل هذا، وجففت شعرها بسرعة قبل أن ترتدي ملابسها، وتتأمل نفسها في المرآة. عبست للوجه الذي يبادلها النظرة. . لا يمكنها أن تنافس النساء الأنيقات المعتاد عليهن، ولا تنوي أن تجرب. . ولمعت صورة وجه جميل بعينين سوداوين كالآبنوس في تفكيرها.

كان مات ينتظرها في الخارج حين خرجت من غرفة الملابس. بدا أسمر وغريباً تحت الأضواء المحيطة به، وطافت عيناه بوجهها النضر لحظة، ثم بدا وكأنه يردد: «حلوة في السادسة عشرة. . لم يعانقها أحد من قبل. مع أن هذا حصل. . أليس كذلك؟ أعني عانقك أحدهم، هل تجاوبت معه كما فعلت معي جورجي؟

ـ من؟

تصرفه السابق كان قد أوصلها إلى إحساس زائف بالأمان، وأدركت

هذا الآن.. وهذا بالضبط ما سعى إليه هذا المخطط البارع.

رد من دون مخادعة: «الرجل الذي لن تتكلمي عنه».

حدقت فيه لحظة، وشعرت أنها غير قادرة على فهمه، ثم رفعت رأسها قليلاً والغضب العارم يضعفها. فتحت فمها لتطلب منه أن يهتم بشؤونه الخاصة، لكنه كان أسرع منها، فلفّ ذراعيه حولها وضمها إليه.

ـ دعني.. مات.

وقاومت لوقت قصير، لكن حركاتها راحت تلائم شكل جسدها الناعم مع جسمه القاسي، ذلك الجسم الرجولي الذي قاومت لئلا ترمقه بنظرات غرامية.

رفع رأسه يسأل: «لماذا؟».

ردّت مقطوعة الأنفاس: «لأنك قلت إنك ستكون طيباً».

ـ أوه.. أنا طيب جورجي.. أعدك.. أنا طيب جداً.

احمر وجهها وحاولت بيأس أن تخفي تأثرها: «أنت تعرف ما أعنيه».

وفشلت، وبدا تأثرها واضحاً حين مرر إصبعاً مداعباً على عنقها. كانت تشعر بالعذاب، وبشرتها تتقلص ألماً، ومع تجمد أنفاسها في حلقها، ابتسم مرة أخرى وتمتم ساخراً: «سوف تستمرين في مقاومتي؟ لماذا.. وأنت تعرفين أن هذا لن يؤدي إلا إلى نهاية واحدة».

فلسفة جوليا بروزبوري مجدداً.. أنا أريد، إذن يجب أن أنال.. هذه الفكرة جعلتها تجمد، وأعطتها القوة الكافية لتنتزع نفسها منه، قائلة بصوت أجش: «مات.. مستحيل.. ما من طريقة.. تجعلني أتورط مع رجل لم أعرفه إلا من بضعة أيام. أنا لست هكذا».

سأل بنعومة: «ما هي المدة اللازمة لتعرفي رجلاً، يا بريئتي؟».

أوه.. هذا جنون.. إنها تغرق أكثر فأكثر.

ـ لست أدري.. زمن طويل.

التوى فمه سخرية: «الوقت نسبي».

ثم تغير تعبيره وأطرق برأسه ليقول باكتئاب: «لكنني أحب هذا في

المرأة.. قدرتها على التمسك بمبدأ ما، هذا جيد».

نظرت إليه مترددة، فهي لا تثق به أبداً: «حقاً؟».

ـ طبعاً.

ومد يده يرفع خصلة شعر ذهبية عن وجهها، قائلاً:

ـ الرجل صياد.. ألا تعرفين هذا!

ـ ربما كان هكذا منذ زمن بعيد قبل أن نصبح متمدنين.

ـ أنا لست متمدناً جورجي.

ولم يبدُ عليه أنه يمزح. وشعرت أنها توافقه الرأي، فمظهر المدنية الخادع لا يتناسب مع شكل مات.. إنه خطير وغريب الأطوار.

وأرجع رأسه إلى الوراء وضحك، وكانت هذه أول ضحكة حقيقية تسمعها منه. ثم قال بعد أن تلاقت عيونهما: «أنت تعبسين في وجهي حين أحاول مغازلتك، وتعبسين في وجهي حين أجاريك.. ماذا أفعل لأرضيك؟».

ها هو يسخر منها من جديد، فاستطاعت أن تقول بصوت بارد جداً:

ـ لماذا لا تحاول أن تكون صديقاً كبداية؟ أم أن هذا المفهوم متطرف بالنسبة لك؟.

تسمّرت عيناه على فمها الممتلىء وسألها: «تريدين صداقتي؟».

سخرت منه: «وهل هذا يفوق قدرتك؟».

ـ مع شقيقك لا، لكنك لست رجلاً جورجي.

ـ إما الصداقة أو لا شيء.

وبدت كلماتها قاسية. لم تكن تملك أيّ فكرة عن حياة مات، لكنها سترتكب خطأً عاطفياً فادحاً إذا أقامت علاقة معه.. سوف تترك العمل في مكتب روبرت قريباً، لكن مات كما تعرفه سيستمر في ترتيب الأمور ليراها، على الأقل طالما روبرت يعمل معه..

ـ إذن، أنا موافق.

رددت غير واثقة: «مجرد صديقين».

- إذا كان هذا ما تريدينه جورجي.

طريقة لفظه لاسمها لم تفشل مرة في إثارة مشاعرها.

واعتصر قلبها قليلاً وازداد حزم صوتها: «هذا ما أريد».

فتمتم بنعومة: «إذن، دعينا نتناول العشاء ونحتفل بلقائنا.. كصديقين.. أليس كذلك؟».

هزّت رأسها بارتياب.. وتساءلت في سرها: «كيف يمكن لها أن تشعر بالهزيمة بدلاً من النصر؟».

* * *

كان العشاء رائعاً، وبالرغم من تسارع دقات قلبها الذي لم يكن يحسن التصرف، وجدت جورجي أنها تمتعت بوقتها، وبما قدم لها من طعام. ومع آخر قضمة من الحلوى، نظرت إلى مات الجالس قبالتها على الطاولة المزيّنة بالكريستال والفضة، وقالت بصوت مليء بالرهبة: «هل تأكل دائماً هكذا؟».

ابتسم لها وأجاب: «لو كنت أحاول أغواءك، وأنا لا أحاول هذا الآن، كنت لأجيب نعم. لكن بما أنك صديقتي.. أليس كذلك؟ والأصدقاء لا يزيفون الحقيقة.. لذا يجب أن أعترف، بأنني طلبت من روزي أن تحضر مائدة مميزة الليلة، مع أنها طاهية ممتازة وتطعمني بشكل جيد دائماً».

كانت جورجي لا تزال مصابة بدوار من ابتسامته التي لطفت وجهه القاسي، وجعلته يبدو أصغر سناً، ولزمها لحظات لترد الابتسامة وتعلق على كلامه بخفة.. إنه خطير. ومع مرور الوقت لم تعد واثقة من شيء.

كان مسترخياً ومسلياً ومضيفاً رائعاً، ولم يخط خطوة، أو يتصرف بطريقة خاطئة. وحين أرادت العودة إلى المنزل عند الساعة الحادية عشرة، وقف على الفور من دون أي محاولة لمنعها. وكان الطريق إلى المنزل خالياً من الأحداث، وأوصلها إلى باب منزل روبرت، ورفع لها ذقنها ليقبلها بخفة على طرف أنفها، ويعود إلى سيارته دون تردد، ويتركها واقفة

بالباب لوقت طويل بعد اختفاء اللامبرغيني في الظلام.

أحست فجأة بأنها مستنزفة.

كان جهداً عليها أن تتسلق السلم وقطعا المسافة إلى المنزل من دون أحداث، وأوصلها إلى الباب، ثم عاد إلى سيارته، من دون تردد، وتركها واقفة بالباب لوقت طويل بعد اختفاء اللامبرغيني في الظلام.

وأحست فجأة بأنها متعبة.

بذلت جهداً لتصعد السلم وتصل إلى الفراش. ونامت ما إن وضعت رأسها على الوسادة، لكن بعد بضع ساعات من النوم العميق، استيقظت وهي تعرف أن مات زار أحلامها.

إنه في أفكارها.. في رأسها.. ونظرت إلى الظلال التي نشرها الصباح وقلبها يخفق خوفاً، لأنّ كل هذا حدث في فاصل زمني قصير.. ومرة أخرى غمرها الإحساس بالخطر.. وحذرها عقلها من خطر أن تدعه يمتلك قلبها.

وخلال الأسابيع التالية، شعرت جورجي أنها بالغت في أفكارها، ذلك الصباح بعد العشاء مع مات.

ولقيت حفلة ميلاد التوأم نجاحاً سيبقى مدار حديث الأصدقاء لسنوات. ومع مرور الأيام، بدا أن مات قد استلم دور صديق العائلة من دون أي جهد.

وبالرغم من تعرّض أعماله مع روبرت لبعض التأخير، فقد أصر مات على تمويل استئجار المزيد من اليد العاملة والمعدات لعمل آخر ناله روبرت. عمل ما كان ليستطيع القبول به لولا شهامة مات، وبدا أن أموراً مشتركة تجمع الرجلين أكثر مما ظنت جورجي. كما اعتاد أن يزورهم مات لشرب القهوة أو لتناول الطعام مرة أو مرتين في الأسبوع، وكان دائماً يحظى باستقبال حافل من قبل آني ودايفد.

تركت جورجي العمل مع روبرت كما خططت، وأصبحت تعمل بشكل مؤقت إنما بأجر مضاعف لم يكن روبرت ليتحمله.. وسمح لها

عملها بأوقات فراغ خلال عطلات الولدين. وبقيت على اطلاع علي خفايا عمل روبرت الذي أكد لها أن العقد الشهير مع مات لا يزال سارياً، لكنه تأخر قليلاً بسبب بعض المشاكل مع المهندسين.

وقال روبرت حين أبلغها الخبر للمرة الأولى: «لا يمكن للعمل أن ينجح بشكل أفضل من هذا حقاً.. بهذه الطريقة، ومع موافقة مات على إقراضي المال لتمويل مشروع «بورتابيلو»، استطيع إنجازه في الأشهر الثلاثة القادمة. بعدها، أكمل مشروع مات.. لم أكن يوماً أكثر انشغالاً جورجي».

وهذا ما يساعده على التأقلم مع خسارته لساندرا. هزت جورجي رأسها للفكرة وهي تحضر فطور الولدين صباح يوم سبت شديد الحرارة في أواخر شهر حزيران. هذا أمر جيد.. جيد جداً، وهو يحاول تخصيص بعض الوقت للتوأم بالرغم من مشاغله. وهذا أفضل له ولآني ودايفد أيضاً. وكان على جورجي أن تعترف أن الفضل يعود لمات دو كابسترانو..

هل يواعدامرأة أخرى؟ ووقفت للحظات تنظر من دون أن ترى من نافذة المطبخ إلى العشب الذي تحرقه الشمس، قبل أن تؤنب نفسها وتتقدم إلى الباب. نادت التوأم الذي يلعب في «العرزال» منذ الصباح، نظراً للحرارة الرطبة في غرف النوم. بالطبع سيواعد نساء أخريات!

سكبت الفطائر المحلاة، المحشوة بالليمون والسكر، وهو طعام التوأم المفضل صباح كل سبت حين يسمح لهما الوقت بفطور متكاسل. وبعد تقدمها إلى أسفل السلم نادت روبرت لينزل.

بعد أن حضرت المزيد من الفطائر المحلاة وقدّمت عصير البرتقال الطازج، أصبح المنزل لها أخيراً، إذ اصطحب روبرت ولديه إلى درس السباحة.

نظرت إلى طاولة المطبخ المليئة بالصحون المتسخة، وإلى القدر الكبيرة على الفرن، وتنهدت مرة أخرى. ما إن تنظف المطبخ، حتى

تتابع تنظيف المنزل كله. يبدو أن الحياة في دوران لا ينتهي أبداً من العمل في هذه الأيام. وكشّرت حين راحت تذكّر نفسها أنها في الثالثة والعشرين من عمرها، وليس في الثالثة والثمانين، وعليها أن تستمتع بالحياة، وأن تشعر بالحرية مرة أخرى.. وأن تمرح قليلاً!

«أوه.. توقفي عن هذا!» وكان صوتها أجش وذعرت فجأة لأنانيتها. «فكري بروبرت والولدين بحق السماء. ماذا دهاك؟».

ـ أنا واثق تماماً من أن أولى علامات الجنون، هي أن تكلمي نفسك.

وأجفلت جورجي بقوة من الصوت الرجولي العميق الذي تناهى إليها من خلفها بحيث وقع ما في كوب عصير البرتقال على الطاولة.

ـ مات!

واستدارت ويدها على صدرها فرأته يقف خلفها، وقالت مقطوعة الأنفاس: «لقد أخفتني حتى الموت».

بدا رائعاً.. رائعاً جداً، لكنه هكذا دائماً. كان يرتدي بنطلوناً رمادياً ناعماً وقميصاً عاجياً مفتوح الياقة.. بدا مميزاً، أو لعلها مسرورة وحسب برؤيته؟ هذه الفكرة خطيرة جداً.. لذا قالت ورنة غضب في صوتها:

ـ لماذا تتسلل وتخيف الناس هكذا؟.

قال مرحاً: «لم أكن أعرف أنني أتسلل على أحد. لقد قابلت روبرت والولدين وهم يخرجون من الطريق الداخلية، وفتح روبرت لي الباب، وناداك».

ـ وهل فعل؟

لقد كانت مستغرقة جداً في أفكارها الكئيبة فلم تسمع نداء أخيها.

سألت بغير لباقة: «حسن جداً.. ماذا تريد؟».

نظرا إلى بعضهما بعضاً لثانية، وعيناه الرماديتان تضيقان وتزدادان اسوداداً.. واكتشفت أنها تكتم أنفاسها من دون سبب.

ـ قطعة حلوى؟

والتفت إلى بقية العجينة في القدر.

قطعة حلوى؟ تأملت وجهه الأسمر بغباء، واضطرت إلى ابتلاع ريقها بحدة قبل أن تضيف: «لا بد أنَّ روزي قدمت لك الفطور».

رد بلهجة انتصار: «في الواقع.. لا، لقد ذهبت مع زوجها لزيارة قريب في نيوكاسل، حيث ستمضي نهاية الأسبوع. ولقد تناولت بعض التوست وشربت القهوة في وقت مبكر لكنني كنت أسبح منذ الخامسة صباحاً وهذا ما فتح شهيتي».

لم يكن من عادته أن يخطىء في صياغة جمله الممتازة، وفي المناسبات النادرة حين يفعل، يتفاعل قلبها بطريقة لا تعجب جورجي.. ولم يعجبها هذا الآن. ولتغطية فيض الحنان قالت بغتة: «اجلس إذن».

وجلس.. فأضافت: «أعتقد أن الحرارة منعتك من النوم؟».

لم يرد على الفور. وعندما استدارت لتنظر إليه، قرأت في عينيه ما جعل وجهها يحمّر بشدة. وقال بجفاء: «الصداقة هذه.. فيها عقوبات محددة، أليس كذلك؟».

فكذبت بحزم: «لست أدري».

تأملها من تحت جفنين شبه مغمضين، ولم يعلّق على لونها القاني.. فقالت بحدة: «سأحضر لك فطائر الحلوى».

ـ شكراً لك جورجي.

وكان رده خنوعاً لا يشبهه.

بعد ربع ساعة كان مات قد أتى على ثلاث فطائر، وعلى كوبين كبيرين من القهوة، وراحت جورجي تكبت الرضا العارم الذي تملكها لرؤيته جالساً إلى طاولة مطبخها.

ـ لقد قدمت لي الفطور.. وأنا أنوي أن أقدم لك الغداء.

كانت تغسل الصحون فأدارها لتواجهه. أبقت يديها المبللتين على طول جانبيها وقالت: «مات.. أرجوك. يجب أن أنهي هذا لأبدأ العمل في الطابق العلوي. لدي أشياء كثيرة و..».

وضع إصبعاً مؤنباً على شفتيها: «لا.. ستأخذين استراحة. لقد قلت

لروبرت إنك لن تعودي حتى وقت متأخر من الليل».

نظرت إليه مشدوهة: «عفواً! لا يمكنك أن تفرض عليّ هذا بالقوة.. يجب أن أرتب غرف النوم».

قال بنعومة: «أستطيع أن أقول لك ماذا يمكن أن تفعلي في غرفة نوم شخص معين، لا يبعد عنك كثيراً. لكننا لن نخوض هذا الجدال الآن».

ـ مات..

ـ أعرف.. أعرف.. صديقان.

النظرة في العينين الرماديتين القاتمتين كادت تخرق الدفاعات التي أقامتها بكل عناية، وتكشف أعمق مشاعرها.. وأحست جورجي أنها مسمّرة أمامه.. لماذا هو قادر دائماً على هذا؟ تساءلت غاضبة.. هذا غير عادل!

كان يمسك بها بخفة من كتفيها، وأصابعه الدافئة فوق القماش الرقيق لبلوزتها القطنية القديمة، وبالرغم من كل ما قالته لمات ولنفسها أدركت أنها تريده أن يستجيب لمشاعرها الدفينة.. وزادت هذه الحاجة سوءاً خلال الأسابيع الأخيرة، إذ تملكتها في كل دقيقة يقظة، ولاحقتها في نومها فتسببت بإرهاقها كل صباح.

لم تكن تعرف إلى أين ستقودها علاقتها بمات. فهو لن يقتنع بعلاقة سطحية كغلين.. وهي غير مستعدة لإقامة أيّ علاقة قد تدمرها، وتسيء إلى قناعاتها ومبادئها.

وصلت الفكرة إلى أطرافها المشلولة، فمنحتها القوة لتتراجع إلى الوراء بعيداً عنه وهي تقول: «ما هي مخططاتك لليوم؟».

ـ نزهة في السيارة إلى الريف.. غداء في مطعم صغير أعرفه، ثم استرخاء في البيت عند بركة السباحة بعد الظهر. تركت روزي لنا العشاء، فقد رأت أنك نحيلة جداً وتحتاجين إلى تغذية.

ـ نحيلة جداً؟

تابع بنعومة: «أنا.. من ناحيتي أظنك مناسبة جداً».

حسن جداً. ليست في مزاج ملائم لتتابع هذا الحديث بالذات.

ـ يجب أن أستحم وأغيّر ملابسي.

ـ أستطيع الانتظار.. ولقد بدأت أجيد الانتظار.

ـ لن أتأخر.

ـ خذي كل الوقت الذي تحتاجينه جورجي.

كان عطره برائحة الليمون، لكنه تحوّل إلى شذا رائع على بشرته السمراء وتسارع قلبها حين أضاف بنعومة: «أنت تستحقين الانتظار».

أوه.. يا الله.. إنه فريد من نوعه! ولم تعرف جورجي ما إذا كانت تشعر بالانزعاج أم بالفرح وهي تسرع إلى الغرفة التي تشاركها مع آني، وتخلع عنها ثيابها. ولم تطل الوقوف تحت الدوش ولم يستغرق تجفيف شعرها سوى بضع دقائق ليصبح بعد ذلك غلالة حريرية مسترسلة على كتفيها. لذا، لا بدّ أنّ ربع ساعة على الأكثر، مرت قبل أن ترتدي قميصاً أبيض خفيفاً وتنورة صيفية مناسبة، وتضع بعض الماسكارا على رموشها وتنزل إلى المطبخ مجدداً.

وبدا الرجل الذي ينتظرها وكأنه كبر عشر سنوات.

راعها التغيير فيه فصرخت: «مات؟ ما الأمر؟».

أشار إلى هاتفه النقال، الملقى أمامه على الطاولة: «لقد تلقيت مكالمة هاتفية.. إنها أمي».

ـ أمك؟

ـ شقيقتي معها الآن.. في المستشفى.. وجدتها منهارة وفاقدة الوعي، ومتقوقعة على نفسها من الألم.

ـ أوه.. مات.

ولم تعرف ماذا تقول أو تفعل.. كان صوته قلقاً ومتلهفاً، والحزن قد خط خطوطاً عميقة في وجهه.. وتمتمت مذعورة: «يجب أن تذهب إليها طبعاً.. ماذا أستطيع أن أفعل لأساعدك؟».

ـ ماذا؟

لا بد أنه يعاني من صدمة، ورأت جورجي أن يديه ترتجفان.. ولم تصدق الشعور الذي انتابها فقد أدركت في هذه اللحظة كم تحبه... وبدا حبها.. عميقاً وثابتاً.. حباً تختبره للمرة الأولى في عمرها، ويختلف تماماً عن ذلك الحب الأحمق الذي أحست به نحو غلين.

راقبت مات وهو يأخذ نفساً عميقاً ويرفع كتفيه. وبدا صوته طبيعياً أكثر حين قال: «من الأفضل أن أتصل بالمطار.. وبخالي.. يجب أن يعرف، ويجب أن يتابع العمل هنا بدلاً مني».

ـ سأرافقك.

ولم تفكر بالأمر.. كان رد فعلها طبيعياً وعفوياً.

ـ إلى المطار؟ لا داعي لهذا حقاً.

قاطعته بهدوء: «إلى إسبانيا.. أنت بحاجة إلى صديق في وقت كهذا، ونحن صديقان. ألسنا كذلك؟ والأصدقاء يساندون بعضهم بعضاً في الأزمات».

ـ إلى إسبانيا؟

وساد صمت طويل، رأت خلاله أنه يحاول استيعاب ما قالته.

ـ لكن عملك.. التوأم..

ـ أنا أعمل بشكل مؤقت، لذا فالعمل لا يشكّل عائقاً. أما التوأم، فلديهما والدهما.

ونظرت إليه بثبات قبل أن تضيف: «ولهما بعضهما بعضاً».

كانت بهذا تكرر الكلمات التي قالها لها منذ أسابيع، لكن أحداً منهما لم يعي ذلك.

سألها بشيء من الحيرة: «ستفعلين هذا؟ ستأتين معي إلى إسبانيا؟».

إسبانيا وهل هي نهاية الأرض.. الكوكب «زوغ».

ـ طبعاً.

ـ لماذا؟

لأنني أحبك من كل قلبي وروحي، وكل عقلي وقوتي..

ـ لأن وجود صديق.. قد يسهّل الأمور وأنت كنت عظيماً مع التوأم وروبرت، وأنا لم أشكرك فعلياً.

أرجع شعره إلى الوراء بطريقة مزقت قلبها: «أنا.. لا أعرف ماذا أقول جورجي».

في وقت آخر، وظروف مختلفة، لفهمت جورجي الكثير من قوله هذا.. مات دو كابسترانو العظيم، المدير البارع، وسيد اللسان الفضي.. تخونه الكلمات؟ أبداً!

ورفعت يدها تلامس خده، لكنها أبقت عينيها مخفيتين لئلا تفضح مشاعرها، وقالت بنعومة: «كنت ستفعل الشيء عينه معي مات، ومع أيّ من أصدقائك».

وهي تؤمن بهذا، وأكدت لنفسها أنه ليس رجلاً ميالاً للسوء، أو غير كريم، بل خلاف ذلك.

قالت بصوت متصلب: «إذا أردت أن تتصل بخالك الآن وأن تجري الترتيبات اللازمة، فسأتصل أنا بالمطار».

وأمسك يدها بيده، ووضعها على قلبه لحظة وهو ينظر إلى اللون الأخضر العميق في عينيها، ثم رفع الأصابع الرقيقة إلى شفتيه.

للحظة، بقي العالم هادئاً ساكناً وجامداً في محوره.. وقابلت نظرته بالمثل، وبدأ الارتجاف في معدتها يهدد بأن يصل إلى صوتها حين تمتمت: «سيكون كل شيء على ما يرام مات..».

قال بصوت أجش: «شكراً لك».

وأمسك وجهها بين يديه.. وعانقها بحنان لم تكن تظن أنه قادر عليه.. وآلمها هذا.. ولسبب سخيف، كانت تتألم كثيراً حين يكون لطيفاً، لأنها تريد ذلك اللطف، وذلك الحنان. لكن، ليس لمجرد أسابيع أو أشهر. إنها تريده إلى الأبد وعلى الدوام. وهذا مفهوم غريب عنه..

أوه.. يا لها من ورطة! يا لها من ورطة كبيرة!

ـ أنت جميلة جداً جورجي.

وعلق صوته باسمها كما يفعل دائماً، فجعله حلواً لاذعاً.

ـ كائن من كان.. لقد كان أبله.. وتعرفين هذا.. أليس كذلك؟

هزّت رأسها إيجاباً.. لقد جرحها غلين في ذلك الحين.. لكنها تعرف الآن أن ألمها كان ليصبح أعظم لو تزوجته.

لأنه لم يحبها بما يكفي.. ولعله غير قادر على حب أحد ما بما يكفي.

ربما أحست جوليا بهذا مما سبب تعاستها.. على أيّ حال، لقد اكتشفت الآن أنها لم تحب غلين بما يكفي كذلك. كانت الحياة معه أشبه بارتداء ثياب قديمة مريحة..

عانقها مرة أخرى.. ولولا أن أمه ترقد في المستشفى، لاستسلمت جورجي لأحاسيسها التي اكتشفتها لتوها، وافتضح أمرها. لكنها استجمعت كل ذرة من عزمها، وابتعدت عنه بحذر، قائلة بصوت مرتجف: «من الأفضل أن أتصل بروبرت لأعلمه بما جرى».

قال مات بهدوء: «انتظري حتى أتصل بالمطار. قد نستقل طائرة خاصة لكسب الوقت».

وعادت إليه نزعة السلطة الطبيعية والآمرة: «يمكن أن نحط في مطار «الأكسورونا» وسأرتب وجود سيارة في الانتظار».

هزت جورجي رأسها بصمت. سوف تعتاد هذا.. اكتشاف حبها له. ستعتاد عليه. طالما لا يعرف، ستجري الأمور على ما يرام.. لا شيء سيتغير.. تقريباً.

قالت بهدوء: «سأحضر جواز سفري، وبعض الملابس».

وأسرعت إلى غرفة النوم، وما إن دخلتها حتى ارتمت على السرير للحظات، تنظر من دون أن ترى عبر الغرفة.

لقد التزمت بالبقاء معه للأيام التالية. على أيّ حال، وكيفما آلت الأمور، لن تأسف على مرافقتها له.. فهي تريد رؤية أين ولد. وأن تفهم ذلك الجزء من حياته، وتكتشف أموراً إضافية عن شخصيته المعقدة، التي

لا بد أن تتكشف لها مع عائلته وأصدقائه. هل اصطحب العديد من النساء إلى موطنه؟

فغرت فمها الناعم لثوانٍ، ثم رفعت رأسها عالياً، وضاقت عيناها وهي تفكر، يجب أن تترك لديه ذكرى تختلف ولو قليلاً عن ذكرياته مع الأخريات.

لعله لم يكن يرغب في صداقته، لكن هذا يميّز علاقتهما عن علاقته بالجميع.

***

٧ ـ نار في الهشيم

كانت الساعة قد بلغت الثالثة بعد الظهر حين حطت الطائرة الخاصة التي استأجرها مات في مطار «لاكورونا» شمالي إسبانيا، حيث ينتظرها صهره.

واكتشفت أن كارلوس مولينا رجل قصير القامة، ممتلىء الجسم.. لكن عينيه ناعمتان وناعستان. بدا لها وكأنه لا يبتسم كثيراً، لكنه متوتر ومشدود الأعصاب اليوم.. وأحبته جورجي على الفور.

سمح لهما نفوذ مات، وماله من دون شك، بالمرور عبر الجمارك ودائرة الجوازات بسرعة. وبعد التعارف، تحدّث الرجلان بالإسبانية للحظات قبل أن يستدير مات إلى جورجي ويقول بهدوء: «أنا آسف.. لكن إنكليزية كارلوس سيئة. ويجب أن أعرف تفاصيل انهيار أمي».

سألته جورجي بنعومة: «وكيف حالها؟».

لم يتكلما كثيراً خلال الرحلة، لكن حين أمسكت يده بعد وقت قصير من الإقلاع تمسك بها وكأنها طوق النجاة.

ـ هناك حديث عن عملية جراحية لاستئصال المرارة كما يعتقد كارلوس.

ـ سي.. سي.

كان كارلوس يحاول متابعة حديثهما، ويهز رأسه الأسود.

ـ تعالي الآن إلى السيارة.. إنها تنتظر.

لم تعرف جورجي ماذا تتوقع أن ترى حين تركوا المبنى المكيف. لكن خيالها صوّر لها مناظر تحرقها الشمس وسماء حارة. على أي حال،

وبينما كانت المرسيدس الفضية التي يقودها كارلوس، تقطع الأميال، قطع أنفاسها جمال الطبيعة الممتدة أمام عينيها.

كان الجو حاراً، لكن حرارته أشبه بصيف إنكليزي في أشده. وحين اتجهت السيارة جنوباً تلاحقت أمامها مناظر الجبال والقرى الصغيرة المتمركزة على تلال تغطيها أشجار الصنوبر، والفيلات التقليدية البيضاء، بين بساتين البرتقال والليمون.

كانوا قد مرّوا لتوهم في ساحة قرية مزينة بالزهور، تملؤها منصات بيع تفيض بالمنتوجات وتصل إلى الشوارع الفرعية بالحجارة، حين قال مات: «هل أعجبك الريف المحبب إلى قلبي؟».

ـ أعجبني؟

واستدارت إليه بتهور وبوجه مضيء: «إنه رائع مات. كيف يمكن أن تتركه لتعيش في انكلترا مدة طويلة كل سنة؟».

ابتسم ببطء: «إنكلترا جميلة أيضاً. مع أنني أعتبر إسبانيا موطني، إلا أنني أرى نفسي إنكليزياً في إسبانيا. على عكس شقيقتي فرانسيسكا.. ربما بسبب الأسماء؟ لقد حملت اسم جدي لأمي، بينما حملت فرانسيسكا اسم جدتنا لأبينا. على أي حال، فرانسيسكا إسبانية من قمة رأسها حتى أخمص قدميها.. أليس هذا صحيحاً كارلوس؟».

ـ سي.. سي.

استدار مات إليها وقال بصوت جاف ساخر: «كارلوس من التقليديين، يحب النساء حافيات وحوامل».

ـ أنا واثقة من أن كارلوس لا يؤمن بشيء كهذا. كم ولداً لديك كارلوس؟

رد بالإسبانية، وحين نظرت جورجي إلى مات مستفهمة، التوى الفم القاسي بابتسامة: «تمالكي نفسك جورجي.. كانوا ثمانية في آخر احصاء».

وصدمت حقاً: «ثمانية؟».

تحرك في مقعده ولامس جنبه جنب جورجي فلزمها كل قوة إرادتها

لئلا تدنو منه أكثر.

ـ بكل تأكيد. فالرجال الإسبان نشيطون جداً، ألا تعرفين هذا؟

قررت ألا تتابع الحديث، وسألت: «وهل ترغب فرانسيسكا في عائلة كبيرة أيضاً؟».

وكانت ابتسامته عريضة، وهو يجيب: «بالطبع».

ـ هذا أمر مثالي إذن، أليس كذلك؟

والتفتت لتنظر من النافذة. كانوا يمرون بعائلة صغيرة، الرجل يقود حماراً سميناً صغيراً، على ظهره ولدان مجعدا الشعر وامرأة ترتدي عباءة حمراء طويلة، وتعتمر قبعة قش كبيرة. شيء ما في هذا المنظر لامس قلب جورجي. ولوّح الولدان للسيارة، فلوّحت جورجي لهما.. بدا الجميع سعداء، مرتاحين، كلهم حيوية. الحياة بالنسبة لهم بسيطة.. مليئة بالفرح.

بعد بضعة أميال، مروا ببحيرة بلورية ساكنة تعكس زرقة السماء، وما هي إلاّ دقائق حتى استدارت المرسيدس وسلكت درباً ريفياً متعرجاً، بعيداً عن الطريق الرئيسية. قال مات بهدوء: «من الأفضل أن أقصد المستشفى مع كارلوس الآن، فيما تستريحين وتشربين بعض المرطبات. ستعتني بك مدبرة المنزل».

وفيما هو يتحدّث، مروا عبر بوابة حديدية إلى طريق داخلية مظلمة، تشكّل أشجار السنديان الدائمة الخضرة فوقها قوساً طبيعياً. ولمحت جورجي في البعيد أراضٍ رائعة. سألته: «هل هذا منزلك؟».

هز رأسه إيجاباً: «ماي أوازيس.. واحتي. هذا اسمه منذ بني، ولم أر سبباً لتغييره حين اشتريته منذ عشر سنوات».

سلكت السيارة مرتفعاً بسيطاً، وتكشّفت الطريق الداخلية عن منزل ضخم على بعد مئة يارد منهم.. وعلى عكس معظم المنازل التي رأتها خلال الرحلة، لم يكن هذا مطلياً باللون الأبيض، بل مبنياً بحجارة عتيقة بلون العسل، ومزخرفاً بشرفات منحوتة. ولفتتها على الشرفات الزهور الحمراء والبيضاء والقرمزية، وأزهار الجيرانيوم، والبيغونيا الاستوائية.

كانت النوافذ كثيرة وكبيرة، تلتمع تحت أشعة الشمس. . ورأت في وسط الساحة أمام المنزل بركة ضخمة تتوسطها نافورة عالية، تزيّنها تماثيل صغيرة لأطفال يركبون جياداً تقف على قوائمها الخلفية.

ـ وهل سينال منك هذا المكان صيحة إعجاب أيضاً؟

وابتسم وهو يتكلم، وبدا صوته ساخراً بعض الشيء، إنما دافىء. .

وازاحت جورجي عينيها عن جمال المنزل القديم وقالت: «بل صيحة إعجاب مزدوجة».

قال بهدوء وعيناه على الباب الأمامي: «بعد أن تتناولي الطعام وتستحمي، يجب أن تتمشي في الحدائق خلف المنزل».

وانفتح الباب وخرجت خادمة نحيلة في ثياب رسمية.

ـ سترافقك پيلار إذا أحببت.

فردت بسرعة: «أفضل أن أستكشف المكان بنفسي، شكراً لك».

كان صوته متباعداً قليلاً، وأحست بأن تفكيره مركز على أمه.

ـ اذهب مات. . سأكون بخير إلى أن تعود.

أصر مات على تقديمها إلى مدبرة منزله الإسبانية فلورا، التي ظهرت إلى جانب پيلار بعد لحظات. ثم رافقها إلى غرفتها في الطابق الثاني للمنزل المكوّن من ثلاث طبقات، قبل أن يغادر. ولامس خدها قائلاً:

ـ هل ستكونين بخير إلى أن أعود جورجي؟ طلبت من فلورا أن تأتيك بصينية طعام بعد نصف ساعة. . بعد أن تستحمي وتغيري ملابسك.

ـ شكراً لك.

هذا ليس الوقت المناسب للتفكير بجاذبيته ووسامته، وكرهت نفسها لتفكيرها هذا. . لكنها في إسبانيا، حيث يبدو أجنبياً أكثر من قبل.

ـ أرجوك ألاّ تقلق بشأني مات. . أحب أن أستكشف المكان. . لكن الهدف الأساسي من مجيئي معك هو أن أساعدك، لا أن أعيقك.

ثم أجبرت نفسها على أن تضيف: «هذه هي الصداقة. . أليس كذلك؟».

أخفت رموشه السوداء الكثيفة التعبير الذي ارتسم في عينيه وردّ بعد صمت قصير: «نعم بالضبط، پيكوينا. . هكذا بالضبط».

ثم انحنى ليطبع قبلة بسيطة على خدها المحترق. . وكانت مشاعرها متشابكة إلى درجة أنها لم تستطع أن تسأله عن معنى پيكوينا، قبل أن يبتسم مرة أخرى ويقفل الباب خلفه.

ووقفت لحظات حيث تركها بالضبط، قبل أن تثق بقدرة ساقيها على حملها. وفتحت الباب الزجاجي المؤدي إلى الشرفة وخرجت بعد أن خلعت حذاءها وحركت أصابع قدميها المتشنجة.

كان البلاط الدافىء ناعماً تحت قدميها الحافيتين. . وراحت تتأمل الحديد المشغول على الشرفة والمغطى بالعرائش المزهرة والنباتات العطرة التي تفوح منها رائحة زهر الليمون. . لكن الرائحة الرائعة من الحدائق، المليئة بالأشجار الاستوائية والشجيرات المزهرة الشائكة والأزهار، هي التي غمرت أحاسيسها. . حدائق واسعة كانت تمتد أمامها بعرض مذهل للألوان. . وبعد أن تأملت المنظر لأكثر من خمس دقائق استدارت على مضض إلى الغرفة ورائها. . ويا لها من غرفة! يا له من جناح! وأحست بالدوار.

في الطابق الأرضي، الذي لم تر فيه بعد غير الردهة الفخمة والسلم العريض، بدا أن هناك غرفة استقبال، وغرفة جلوس، وغرفتين أخريين للاستقبال الخاص، وغرفة الطعام وغرفة الفطور، والمطابخ.

هذا المنزل فخم، عظيم، ومذهل ولا مجال للإنكار. وقرب بناء الإسطبل الجديد، خلف الجناح الغربي، تمتد بركة سباحة بحجم أولومبي، وملعب «كرة مضرب». . وجمدت أفكارها. ماذا تفعل هنا؟ هي جورجينا ميليت من «سيفنوكس»؟ فهذا مكان يليق بآل روتشايلد!

وقفت مسمّرة، وقبضتاها مضغوطتان على صدرها لشدة ذعرها. منزله في انكلترا فائق الجمال. . لكن هذا. . مختلف. . لم تكن تدرك مدى ثراء مات وقوّته.

بعد دقيقة أو ما يقاربها من الصمت الهستيري، تماسكت. . مات لا يزال مات. حسن جداً. . أنه أكثر ثراء مما اعتقدت. . وأخذت نفساً عميقاً، ثم ابتلعت ريقها بقوة. . إنه الرجل ذاته الذي جلس مع الولدين وضحك في غرفة طعام روبرت الصغيرة في الأسابيع المنصرمة. . وهو الذي أخذ على عاتقه إعالة حيوانات عاجزة إرضاءً لسيدة عجوز. وهو الإنسان القلق على صحة أمه. .

واستسلمت لنوبة بكاء كانت تهددها. . ثم جففت عينيها. لقد أحبته، ولا تستطيع منع نفسها وإن أكدت لها كل ساعة تمر مدى استحالة حبها، فمات ليس رجلاً عادياً. وهي لا تقصد بهذا ثروته. . حتى وإن كان فقيراً معدماً سيبقى مختلفاً، آمراً، عظيماً. مات دو كابسترانو هو، حسن جداً. . مات دو كابسترانو. . وهذا يختصر كل شيء. . وكان لا بد أن تقع في حبه. .

وبعد أن وقفت تحت المياه الدافئة، أحست أنها منتعشة وأكثر هدوءاً.

وبعد أن ارتدت ملابسها بسرعة، قميصاً أزرق من دون أكمام وبنطلوناً قطنياً أبيض واسعاً، أكلت جورجي القليل من الطعام الذي جلبته بيلار، وشربت كوب عصير، قبل أن تنزل إلى الطابق السفلي.

التقت بيلار حين وصلت أسفل السلم الضخم، ومن النظرة على وجه الفتاة الإسبانية أدركت جورجي أنها ارتكبت غلطة لا تغتفر، بإنزالها الصينية بنفسها. أودعتها بين يدي بيلار مبتسمة وقالت لها إنها ستخرج لتتمشى في الحدائق الجميلة خلف المنزل. . ثم غادرت على الفور. هذه أول زلة لها، ولا شك ستتبعها أخرى. . يبدو أنها لا تجيد التصرف! على عكس نساء مات الأخريات، من دون شك.

في الحديقة، توقفت والتفتت إلى الخلف تتأمل المنزل مرة أخرى. إنه جميل جداً. . جداً. . الحديد المشغول الذي يزينه، الألوان المختلفة لحجارته العتيقة، الألوان المتنوعة للأزهار المتدلية من الشرفات. . ولم

تصدق فعلاً أنها هنا!

وسارت تستكشف المكان، وجابت الأراضي فالتقت بستانيين حيّتهما، فردا التحية لها باسمها.

كانت تجلس فوق مقعد خشبي قديم، يطل على بستان دراق وبرتقال وليمون وكرز، حين سمعت أحداً يناديها. فالتفتت لترى مات يقترب، ولم يكن قد فارق أفكارها للحظة. وها هي الآن تنظر إلى وجهه الداكن، وتنادي: «كيف حال والدتك؟».

ـ أكثر إشراقاً مما توقعت.

ووصل إليها في بضع خطوات. وقبل أن تدرك ماذا ينوي أن يفعل، جذبها إليه، ودسّ ذراعيه القويين حول خصرها ليكيفها مع جسمه القوي الصلب. وأراح ذقنه على قمة رأسها وهو يشم دفء شعرها الحريري.

ـ رائحتك كرائحة كل صيف عرفته. . نضرة، زكية.

وكيف ترد على هذا؟ ولم تكن واثقة من أن هذا العناق هو عناق صديق! استندت إلى صدره لحظة، لأنها لم تستطع المقاومة، ثم تراجعت إلى الخلف لتقول: «ماذا قال الأطباء؟ هل هي بخير؟».

هز رأسه: «سي. . سي. اعذريني جورجي. . كنت أتكلم الإسبانية طوال اليوم. . أجل. . ستكون بخير، أنا واثق. لكنها ستحتاج إلى جراحة. . ولسوف أستقدم إخصائياً من أميركا الليلة. . وسيجري لها الجراحة غداً».

ـ وهل ستفعل هذا.

ـ إنه صديق لي. . وطبيب ماهر، وأمي تعرفه وتثق فيه، ومن المهم أن تكون واثقة وهادئة.

هزت جورجي رأسها. كان يبدو وسيماً بشكل لا يصدق، ومهذباً. . أما رائحته العطرة فتعرض عزيمتها للخطر.

ـ تود أن تلقاك.

كان لا يزال يضمها ويبدو أنه لم يلاحظ محاولاتها للإفلات.

- وهل تود هذا؟

هذا لن يفيد.. يجب أن تتكلم بذكاء أكبر حين تفتح فمها مرة أخرى.

- وهل أخبرتها عني؟

- أجل أخبرتها عنك جورجي.. قلت لها إنك شقيقة روبرت وإننا صديقان.. هذا صحيح.. أليس كذلك؟

- طبعاً.

ومع سريان الألم في روحها قالت لنفسها بحدة: «هذه هي الطريقة الوحيدة، وتعرفين هذا.. تعرفينه».

وتابع مات: «لكنها تعرف أن من الصعب عليّ أن أبقى صديقاً».

وتململت قليلاً بين ذراعيه.. فقربه منها نار مستعرة تحرق أعصابها بقوة خطيرة.. وحاولت أن تحتج لكنها استسلمت على الفور.. بالرغم من الأصوات الداخلية التي راحت توبّخها لضعفها.. بعد كل عزمها، كل تصميمها، لم يكن عليه سوى أن يلمسها، لتتجاوب معه.. واستمر الصوت يعنّفها، لكنه لم يستطع منافسة عناقه، ومشاعرها. إنها تحبه كثيراً.. وكثيراً جداً.

أخذ يتمتم باسمها، فتعطّل تفكيرها وجرفتها أحاسيسها بحيث عجزت عن السيطرة عليها.

وتأكدت من هذا حين حاولت الإفلات منه ونظرت إلى وجهه، فتركها تبتعد على الفور.

سألت بارتجاف: «ما الأمر؟».

- لا شيء.. لكنني لا أثق بنفسي في ما يتعلق بك، پيكوينا.. هل تفهمينني؟

- لكن.. ظننت..

وعجزت عن الكلام.

أكمل بصوت فقد نعومته: «ظننت أنني سأستغل أول فرصة معك؟

لقد رافقتني لأن قلبك تأثر إشفاقاً.. صحيح؟».

هزت رأسها إيجاباً بضعف.. فهذا كل ما هي قادرة عليه بقرب جسده الكبير الرشيق ورائحة عطره التي تدير رأسها.

وتابع: «هذا الإشفاق خفض من مستوى دفاعاتك وجعلك ترغبين في إراحتي.. وهذا جيد، ويعجبني. لكن حين سنفعل هذا جورجي، سيكون لسبب واحد، وواحد فقط.. لأنك تريدينني بقدر ما أريدك، وهذا هو الأمر الوحيد الذي يجب أن يملأ رأسك وقلبك.. وليس الشفقة أو الرغبة في مواساتي.. ولا حتى لأن الأمسية ناعمة، والزهور عطرة والجو يعبق بالرومانسية كالآن».

هل هو مجنون؟ ألا يعرف كم تريده؟ ليس بسبب الإشفاق أو أي شيء آخر بل لأنها تحبه.

فتحت جورجي فمها لتصحح له غلطته، ثم أقفلته ثانية بحدة. مات ليس مجنوناً، إنما هي المجنونة. ووبخت نفسها بصمت مع تدخل التعقل البارد.. كانت تعرف في قرارة نفسها أنه سيستغلها ويتركها ويمضي في طريقه الحلو عاجلاً أم آجلاً. فلماذا بحق السماء تلعب بالنار؟

- تعالي.

ووقف برشاقة، ثم مد لها يده ليساعدها على الوقوف.

- سنسير على مهل إلى المنزل ونشرب «الكوكتيل» قبل العشاء، ثم سنأكل ونتحدث ونضحك. في ما بعد، سنراقب القمر يتألق مثل الملك في السماء..

أخذت يده، وتعثرت وهي تقف. لقد قال لها إنه لا يؤمن بالحب الحقيقي وما يدوم إلى الأبد.. وهو الآن في السادسة والثلاثين، وليس يافعاً غرّاً قليل الخبرة، لا يعرف ماذا يريد. لكن ما الذي جعله هكذا؟ لا بد من سبب..

ملست ثيابها، وخداها ملتهبان. وبدا مات هادئاً تماماً ومسترخياً، ومسيطراً على نفسه كعادته. في بعض الأوقات تكرهه بقدر ما تحبه.

شبك ذراعها بذراعه وهما يسيران إلى المنزل في جو عابق بعطر دافىء، وطيور العالم تنشد أغنية حب، أو هذا ما تراءى لجورجي. وكان مات يتحدث بسهولة، يخبرها عما حدث في المستشفى بعد ظهر ذلك اليوم، ويكرر أن أمه بدت مشرقة مرحة.. وهذا أمر عظيم، رائع، لكن كيف يمكنه أن يفكر بأي شيء غير ما يجري بينها.. إنها لا تدري! لكن هذا مجرد انجذاب جسدي بالنسبة إليه.. جوع يتطلب الإشباع. فالمرء يأكل حين يجوع، ويشرب حين يعطش.. هذه هي فلسفة مات في الحياة باختصار.

دخلا المنزل من الأبواب الزجاجية المفتوحة إلى غرفة الاستقبال الملكية وبقي ممسكاً بيدها وهما يسيران في الغرفة المرتفعة السقف الذي يماثل سقوف الكنائس حتى الردهة التي تليها.

سألت بضعف: «هل تستخدم غرفة الاستقبال دائماً؟».

الأثاث المختار بعناية، والذي بدا معظمه أثرياً ولا يقدر بثمن، يبعث الرهبة في النفوس.

ـ في الأعياد والمناسبات الرسمية، أليس هذا ما تقولونه في إنكلترا؟

كان في صوته رنة ساخرة وقالت جورجي بشيء من السخط: «أنت إنكليزي أيضاً».

صحح لها بنعومة: «نصف إنكليزي.. ويشكل هذا فارقاً كبيراً.. أليس كذلك؟».

أوه.. بلى.. وكادت تتعثر، بالرغم من أنه لم يكن هناك ما تتعثر به سوى أفكارها.

نظر مات إلى ساعته وقال: «أمامنا متسع من الوقت قبل أن نبدّل ملابسنا للعشاء. أتودين رؤية بيتي؟».

ثم أضاف بابتسامة ساخرة: «واعلمي أنك نلت شرفاً رفيعاً بهذه الدعوة.. فلا أحد يدخل إلى ملاذي سوى بدعوة خاصة».

لم ترد جورجي الابتسامة، بل نظرت إليه بثبات وسألت بهدوء: «هل

هذا صحيح؟».

ـ أجل.. صحيح. وأنا مقتصد جداً في الدعوة.. لأنني أقدس خلوتي.

يمكنها أن تصدّق كلامه.. فهو قادر على استقبال الناس بفخامة، وأن يكون له مجموعة كبيرة من الأصدقاء والمعارف، لكن مات دو كابسترانو رجل لا يكشف سوى القليل عن نفسه لأي كان.. وحتى ذلك القليل، يراقبه بدقة.

سارت جورجي معه في الردهة وراقبته وهو يفتح باباً خشبياً ثقيلاً يقود إلى جناحه المفضّل. ودعاها لتمر أمامه، فوجدت نفسها في قاعة صغيرة يشغلها سلم من الحديد المشغول الجميل.

وأخذ بيدها: «تعالي.. الطابق الأرضي أولاً.. كما أظن».

الطابق الأرضي أولاً. هذا يعني أنه ينوي أن يريها الطابق العلوي، والطابق العلوي يعني غرفة نومه.

كانت الأرضية من خشب السنديان بلون العسل. أما الجدران فقد طليت بلون أكثر شحوباً. وبدلاً من اللوحات الرائعة التي تزين الردهة الرئيسية رأت عدداً من المرايا البرونزية الكبيرة.. وبسبب تسلل أشعة الشمس من النوافذ الضيقة إلى يمين الردهة، بدا المكان قاعة من النور الذهبي الصافي.

فتح مات الباب إلى يساره، ومرة أخرى تراجع ليسمح لها بأن تتقدمه.

ـ أوه، مات.

ودفعتها الدهشة إلى أن تنظر إليه. ورأت العينين الرماديتين ترقبان ردة فعلها. كانا يطلان على بركة سباحة داخلية رائعة، زرع على طرفها أشجار نخيل ونباتات أخرى تظلل مقاعد منجدة وطاولة وكراسي. كان الجدار من زجاج، مع بابين كبيرين ينفتحان على حديقة مسوّرة مليئة بالزهور والشجيرات المزهرة والأشجار.

ـ هذه قاعة الرياضة.

وقادها إلى باب آخر في منتصف الطريق إلى البركة، وفتحه ليكشف عن قاعة رياضية رائعة..

ـ إنها رائعة.

وأقفل باب الغرفة. ونظرت جورجي حولها مذهولة تماماً: «وهل صممت كل هذا؟».

هز رأسه: «أحب السباحة».

ـ وهذا مكان ملائم لذلك.

هل يسخر منها؟ وعندما كانا عائدين إلى الردهة، نظرت إلى وجهه الأسمر من زاوية عينيها، لكنها عجزت عن قراءة تعبير وجهه.

ـ هيا اصعدي.

وهي تصعد السلم اللولبي، كانت تعي وجود مات خلفها تماماً. وكادت تتعثر وهي تخطو إلى غرفة نوم بسيطة مفتوحة.. ولم تكن تتوقع أن تكون غرفة نومه هي التالية.. قدّرت أن تكون في أعلى المنزل.. وبالتأكيد لم تتوقع أن تكون.. تكون.. وتخلت عن محاولة إيجاد وصف ملائم، ونظرت حولها بحذر.

مرة أخرى كان الجدار من زجاج والسرير الضخم المستدير الناعم، مرتفعاً قليلاً عن الأرض الخشبية، وموجّهاً بحيث يمتد أمام ناظري شاغله منظر قمم الأشجار، والسماء الغارقة في أشعة الشمس. الجدار الأيسر كان مغطى بالمرايا كالردهة، ورأت رفوفاً تحمل كتباً ومجلات، وأشرطة تسجيل تصل حتى السقف.

ولاحظت أريكة بثلاثة مقاعد، في الجهة المقابلة للسرير. إلى جانبها براد وطاولة صغيرة تحمل آلة تحضير القهوة وفناجين، وخزانة مليئة بأنواع مختلفة من العصير.

بدت الغرفة رجالية، خالية من الألوان أو من أي زخرفة أنثوية. وظهر هذا أيضاً على الحمام الداخلي حيث فتح مات بابه القريب من الخزانة

ليكشف عن حمام من الرخام الأسود وتجهيزات فضية من دون أيّ نبتة خضراء أو باقة ورود لتلطيف جماله الأنيق الصادم.

نظرت جورجي إلى الداخل، وقد زادت الأنوار الخافتة من جمال الرخام اللماع والجدار المغطى بالمرايا، خلف المغطس الرخامي الأسود.

لم تستطع جورجي التفكير بما يمكن أن تقوله. كانت لا تزال تحاول استيعاب ذلك السرير، الذي لا بد أنه صنع داخل الغرفة لإرضاء مات.

ابتلعت ريقها بقوة، وقد جف حلقها.. وقالت لنفسها بقسوة إنه أعزب أبديّ. كل ما رأته يعلن هذا، ولقد تجاهلت هذا الواقع وعرّضت نفسها للخطر.

ـ ألا تعجبك هذه الغرف؟

وأقفل باب الحمام وهو يتكلم، واضطرت إلى الالتفات إليه لتلتقي نظرته السوداء النافذة المصوّبة على وجهها.

ـ تعجبني؟

وكيف ترد على هذا؟ إنها غرف جميلة، رائعة، لكنها تحمل إنذارها الخاص، وهي أشبه بصفعة على الوجه. وردت بعد لحظات: «أجل، بالطبع تعجبني. إنها غير عادية، المنزل كله رائع».

تفرس فيها من دون أن يرف جفنه: «لا تغامري أبداً.. يكوينا».

ـ ماذا؟

وتظاهرت بأنها لا تفهم ما يعنيه، علّها تجد ما ينقذها من هذا الموقف.

ابتسم.. لكن الابتسامة كانت مصطنعة ولم تصل إلى عينيه الرماديتين الفولاذيتين.

ـ تعالي سأريك الطابق الأعلى.

وكأن ما فكرت فيه لم يزعجه.. ثم احمرت بشدة حين توقف للحظة، بدل أن يتحرك نحو السلم، وتمتم: «الطابق الأعلى أكثر أماناً.. أعدك».

حاولت أن تتجاهل قربه منها وتأثيره على أعصابها ودست نبرة انزعاج ودهشة في صوتها: «آمن؟ ماذا تقصد؟».

ـ بالتأكيد لا تعرفين.

ـ مات. . أرجوك. . أقول لك. .

وانقطع صوتها وتقلصت عضلات معدتها حين لامست يده خدها. . لم يكن يمسك بها، وبالكاد يلمسها، ومع ذلك أحسّت بأصابعه كالنار على بشرتها، واضطرت إلى استجماع إرادتها كلها لتحصّن نفسها.

قال بنعومة شديدة: «هذا ما أتكلم عنه. . ردة فعلنا الكيماوية كلما كنا على بعد خطوات من بعضنا بعضاً».

وأحست بالدفء يلف جسمها كله، وبالتوتر يشد جسمه الضخم المفتول العضلات، فأدركت أن عليها أن تكسر سحر تلك اللحظة. .

قالت بصوت متقطع غير مترابط: «أنا جاهزة لرؤية الطابق العلوي الآن».

لقد قال إن هناك ردة فعل كيماوية. . مجرد ردة فعل كيماوية. فماذا ستفعل؟

***

٨ ـ الأمل وهم أم حقيقة؟

شكّل الطابق الأعلى من جناح مات، مفاجأة أخرى. إذ تحتل جزءاً كبيراً منه مكتبة كبيرة، تضمّ آخر صيحات التكنولوجيا. وفي أبعد طرف من الغرفة، رأت شرفة داخلية تتخذ شكل غرفة جلوس صغيرة وتمتد إلى ما لا نهاية.

خلف أملاك مات، كان هناك تلال وأراض ريفية وقرى صغيرة، ومشهد مثير يبعث الرهبة في النفس.

ـ اجلسي سأحضر لنا شراباً.

هزت جورجي رأسها موافقة، وتقدمت إلى النوافذ الممتدة إلى السقف.

ـ لا أعتقد أنني رأيت يوماً منظراً يماثل هذا.

سمعت صوت مكعبات الثلج، ثم تنبّهت إلى أنه أصبح خلفها تماماً، حين تمتم بنعومة: «لا يصدق. . أليس كذلك».

سألت بسرعة: «هذه الأبواب والنوافذ الفخمة لم تكن موجودة في هذا الجزء من المنزل حين اشتريته؟».

ساد صمت قصير، ثم قال: «لا. . لم تكن موجودة. لقد حوّلت هذا الجناح إلى شقة حسب متطلباتي. فأنا أحب الفضاء والنور».

شيء ما في صوته، ذلك التغيير البسيط، أرسل رعشة في عمودها الفقري. هذه الحاجة للسعة، للمرايا، وللنوافذ الفخمة. .

واستدارت إليه قائلة: «أنت مصاب برهاب الأماكن الضيقة

والمظلمة؟».

ولم يكن هذا في الواقع سؤالاً.. وحين ضاقت عيناه.. كررت:

ـ هذا صحيح. أليس كذلك؟

هز كتفيه: «قليلاً».

بل كثيراً، وتراهن على هذا.

ـ وهل لطالما كنت كذلك؟

ـ لا.. أبداً.

وكان صوته قاطعاً يشير إلى أنه لا ينوي الإجابة أكثر عن اسئلتها. وأمسك ذراعها ليجلسها على الأريكة، وأعطاها كوب عصير البرتقال وهو يقول: «استرخي جورجي.. واستمتعي بالمنظر».

القول أسهل من الفعل.

جلست، وهي تضم ركبتيها بشدة، وظهرها مستقيم، وراحت تتأمل متصلبة التلال والريف الذي اختلط لونه بلون المغيب الخفيف في الأفق البعيد.. إذن، هناك نقطة ضعف في ذلك الدرع المخيف.. الخوف من الأماكن الضيقة والمظلمة..

ـ ألست مستعدة بعد لإخباري عنه؟

ـ ماذا؟

وابتعدت بحدة وكأنها فرس أجفلها شيء ما.

وسأل بصوت أجش: «هل حطم قلبك جورجي؟».

هذا غير عادل! إنه لا يكشف عن شيء.. لا شيء.. عن نفسه، مع ذلك يتوقع منها أن تقول له كل شيء. وتصلبت، ثم رفعت ذقنها الصغير، وقالت بثبات: «اسمه غلين.. فما كان اسمها؟».

وتحوّلت عيناه إلى عينين فارغتين باردتين.

ـ اسمها؟

ـ أجل.. اسمها.

كانت تخمّن. لكن ردة فعله أبلغتها أنها أصابت..

قال بخشونة: «أتريدين أن تعرفي؟».

ابيضّ وجهها للهجته، لكنها لن تتراجع الآن.. لقد تعبت من الدوران في حلقات مفرغة.

قالت تتحداه: «بالضبط.. أم أنك غير مستعد؟ توقعت مني أن أعترف بكل شيء.. فهل هذا صحيح؟».

نظر إليها محدقاً لفترة طويلة، بينما راحت الأفكار تدور في رأسه وعلى وجهه القاسي، أفكار لم تستطع قراءتها.

ـ لم أكن أقصد..

وتوقف بغتة، وتخضّب وجهه بلون قاتم: «.. أم ربما كنت أقصد.. اللعنة. لا أعرف ما عنيت».

فقدانه المؤقت لرباطة جأشه أفرحها أكثر مما يمكن للكلمات أن تصفه.. إنها بداية.. أليست كذلك؟

أخذ نفساً عميقاً، وضاقت عيناه اللامعتان على وجهها الشاحب، ثم قال ببرود: «لن يعجبك ما ستسمعين.. ولن يفيدك بشيء».

قالت بهدوء، مخفية ذعرها: «أفضل أن أكون الحكم على هذا. أنا لم أكذب عليك مات.. لقد كنت صادقة تماماً منذ التقينا».

ووخزها ضميرها. لكنها اسكتت ذلك الصوت الصغير الذي سألها لماذا لم تعترف له بحبها. هذا أمر مختلف، مختلف تماماً.

ـ لطالما أوضحت أنني لست مستعدة لعلاقة عابرة. أنا لا أعيش حياتي هكذا.. أنا أعرفك، لكني، لا أعرفك جيداً. وأنت لا تكشف شيئاً عن نفسك.. ليس حقاً.

ـ أمر ساحر.

ـ أوه.. كنت عظيماً مع روبرت والتوأم. لا تفهمني بشكل خاطىء.. وأنت كريم بشكل مذهل. لكن هذا مجرد مال.. أليس كذلك؟

ونظرت إلى عينيه مباشرة محاولة ألاّ تفكر كثيراً بمدى وسامته وهو يجلس على بعد لمسة منها.

رد متشدقاً بسخرية: «وهذا بالطبع لا شيء».
ـ لا.. هذا غير صحيح.
وغضبت فجأة من نفسها.. ومنه أيضاً.
ـ المال يسهل الأمور. لكن ساندرا وروبرت كان لديهما شيء ما لا يمكن للمال أن يشتريه. ولأنني رأيتهما، ورأيت ما عندهما، لن أرضى بما هو أقل.
ـ من الخطر وضع شروط مماثلة لعلاقة، ومن العجرفة افتراض أنك تعرفين ما كان عليه زواجهما حقاً.
وكان رده بارداً من دون تعبير: «وقد تجدين نفسك تتبعين نوعاً من الوهم لما تبقى من حياتك، وينتهي بك الأمر صفر اليدين».
ـ لقد شهدت تغيّرات حياتهما. وأعرف كم عملا بجهد لإنجاح زواجهما. ولم أنظر إلى الأمر نظرة حالمة، إذا كان هذا ما تشير إليه.
نظر إليها، وحاجباه مقطبان في عبوس غاضب: «كيف يمكن أن نتجادل في حين سعيت لأن يكون هذا..».
وصمت فجأة.
فردّت تقترح برقه حادة: «حميم ودافىء؟».
ـ بل مريح ومفيد.
مريح ومفيد..؟ بلى.. بكل تأكيد!
نظرت إليه، وعيناها الخضراوان عاصفتان، ثم شربت جرعة كبيرة من العصير لتمنع نفسها من أن ترميه به.
وابتسم فجأة ابتسامة عريضة حذرتها، خاصة حين قال بصوت أجش:
ـ أنت خصم مخيف. آنسة ميليت.
لم تكن مستعدة لمقابلة عينيه: «خصم؟ ظننت أن من المفترض أن نكون صديقين.. وقد نجد بين الأصدقاء عدم توافق صحي».
هز رأسه، والتوى فمه للهجتها المتعالية..
ـ هذا صحيح، وما المسموح لصديقين غير هذا؟

ردّت متصلبة: «هل تعني أنك لم تتخذ من النساء صديقات؟».
ـ لم أتخذ صديقة ذات عينين بلون الجاد الأخضر الصافي وشعر حريري.. لقد سحرتني. أتعرفين هذا؟ أنت تشغلين أفكاري، وتغزين أحلامي، وكل ما أفكر به هو أنت.
وكان هذا اعترافاً غير متوقع، فلم تصدق جورجي أنه حقيقي.
وقرأ كالعادة ما ارتسم على وجهها: «أعني ما قلت».
ربما كان يعنيه.. في الوقت الحاضر. لكن الوقت الحاضر سيصبح قريباً من الماضي. وماذا ستفعل بعد ذلك؟
ـ كان اسمها بيغونيا.
ـ ماذا؟
رفع وجهها، بأصابع لطيفة، وكرر: «لقد سألتني عن اسمها. كان بيغونيا».
لم تكن تريد معرفة اسمها.. لا تريد أن تعرف شيئاً عن المرأة التي أحبها واهتم بها. ومع ذلك، تريد معرفة كافة التفاصيل.
قال بهدوء: «لقد التقيتها في الجامعة، هنا في إسبانيا.. وبقينا معاً ثمانية عشر شهراً.. ثم انتهى الأمر».
هل كانت جميلة؟ هل أحبها من كل قلبه؟ هل هو من أنهى علاقتهما؟ أين هي الآن؟
سأل من دون تغيير في رنة صوته: «وغلين؟ من كان غلين؟».
لم يكن قد علّق على الموضوع من قبل، فأخذت نفساً عميقاً لتقول بحذر: «كان غلين الفتى المثالي الذي يسكن في الجوار، ولقد تعرّفت إليه ما إن ذهبت لأعيش مع روبرت وساندرا. وكانت شقيقتاه صديقتيّ المفضلتين. وخطبنا، ثم فسخ الخطوبة قبل أسابيع من موعد الزفاف».
ـ لماذا؟
كان لا يزال يمسك بوجهها، فأفلتت من قبضته واستدارت بعيداً وشربت جرعة أخرى من العصير: «لقد وجد فتاة أخرى.. اختار ابنة رب

عمله . . فهي ثرية جداً، أو بالأحرى والدها ثري . . وتزوجا بعد بضعة أشهر».

قال بحنان: «كان غبياً».

ـ أجل . . كان غبياً.

جاهدت بقوة لتكبت المشاعر التي كادت تنعكس في صوتها: «لكنني أدركت في ما بعد . . ».

ما إن التقيت بك وعرفت ما هو الحب.

ـ . . أن ارتباطنا لم يكن سوى غلطة فادحة.

ـ هل تعنين هذا؟

كان في صوته رنة لم تستطع تحديدها. ورفعت عينيها إليه لتلتقي نظرته الثاقبة المركّزة على وجهها، وردت بهدوء: «أوه أجل . . أنا لا أتظاهر بالشجاعة. أحببته كبطل حين كنا صغيرين، وكان من المستحيل أن يرتكب أي خطأ في نظري. لذا صدمت بشكل مريع حين تركني بفظاظة. لكن بعد فترة، أدركت أنني رسمت له صورة تختلف تماماً عن حقيقته . . حب الطفولة، كما أعتقد . . افتتان أعمى بكل تأكيد . . فزواجي منه كان سيتحوّل إلى كارثة».

وابتلعت ريقها بصعوبة، وأرادت أن تطرح المزيد من الأسئلة عن بيغونيا، فالوقت مناسب، وقد لا تسنح لها فرصة أخرى. لكن، هل ستتحمل سماع قصته؟

ولم تضطر لاتخاذ أيّ قرار، إذ رن جرس الهاتف الموضوع قرب الأريكة . . وتمتم مات بسخط وهو يلتقط السماعة وقال بصوت حاد: «سي؟».

تناهى إلى سمع جورجي صوت امرأة من الطرف الآخر، فاضطربت مشاعرها، ولم تُدهش حين سمعته يقول: «سي بيبيتا».

وتبع هذا كلام بالإسبانية، وفقد صوته حدّته.

هبّت واقفة، وتوجهت إلى النوافذ وأدارت ظهرها إليه.

ـ أنا آسف جورجي.

وأعاد السماعة إلى مكانها فاستدارت ببطء، ووجهها لا يعكس سوى التساؤل المهذب.

قال: «كانت هذه بيبيتا . . شغلتها أخبار أمي».

ـ إنها تعرفها إذن؟

وأذهلتها برودة صوتها التي لم تحمل أيّ مشاعر.

هز رأسه إيجاباً: «بيبيتا تعمل معنا منذ سنوات عديدة، وتعرف أمي جيداً. وهما صديقتان مقربتان».

أجل . . يجب أن تكونا صديقتين، لأن بيبيتا ستسعى لذلك، فهي تريد مات. وأدركت جورجي فجأة أن هذا الأمر خطر لها.

ـ إنها تتصل من سيارتها . . إنها في طريقها إلى هنا حاملة بعض الزهور لأمي.

عظيم . . لن تأخذ الزهور إلى المستشفى، ولن ترسلها إلى هناك . . بل ستأتي بها إلى هنا . . إلى منزل مات.

قالت بلطف: «لم أكن أعرف أن بيبيتا في إسبانيا».

وسألته السؤال نفسه الذي طرحته عليه مرة في انكلترا ولم يجبها عنه: هل تتنقل معك بين إنكلترا وإسبانيا؟

ـ معظم الوقت . . فخالي في انكلترا لديه سكرتيرته الخاصة. والمكتب هناك مجهّز، لكنني أفضل أن ترافقني بيبيتا في أي عمل منكتم.

يفضل أن ترافقه بيبيتا . . ووضعت جورجي كأس العصير نصف الممتلىء على الطاولة الصغيرة وأشارت إلى ثيابها: «أعتقد أنه من الأفضل أن أستريح قليلاً قبل العشاء . . إذا كان هذا يناسبك؟».

ـ بالطبع.

طبعاً، هذا رده الآن وبيبيتا في طريقها إلى هنا. ثم توقفت جورجي مشمئزة من هذا الشعور القاتل . . شعور الغيرة.

لم تعرف جورجي أي ملابس تختار حين وضّبت حقيبتها بسرعة ذلك

الصباح في انكلترا . . لكن حين وقفت أمام الخزانة المفتوحة في غرفتها، باركت الاندفاع الذي جعلها تضع فستانين أو ثلاث في آخر لحظة . . فهي تراهن بحياتها على أن بيبيتا ستصل مرتدية أجمل التصاميم. ومع أن مرتبها لا يمكّنها من شراء تصاميم «ڤيرساتشي» أو «آرماني» إلا أن الفستان الحريري الأخضر اللون، والفستان الآخر المكشوف الكتفين من الكشمير، والفستان القصير من الكريب، بلون الرماد الناعم، تنافس فساتين أهم المصممين.

تركزت عيناها على الفستان القصير . . الرباط الرفيع الرقيق على الكتفين، والتطريز الخفيف على الصدر، أضفيا على الفستان جمالاً وأناقة. وحذاؤها الأسود اللماع تناسب تماماً مع ما اختارته. أما القماش ولونه الغامض أبرز عينيها وأظهر لون بشرتها العسلية.

كان لديها سوار من الفضة، وضعته مع الفستان في حفل عشاء راقص، وهو قطعة الحلي الوحيدة التي حملتها معها عدا القرطين. . هل هو القدر؟ وأخذت الفستان وهي تهز رأسها إيجاباً لصورتها المنعكسة في المرآة.

مشطت شعرها حتى انسدل على كتفيها وكأنه من حرير. . ثم وضعت بعض اللون على رموشها، ولمسة أحمر شفاه مشمشية اللون على فمها. لم تتزين أكثر، بالرغم من صورة الوجه الجميل والعينين الآبنوسيتين التي حالت بينها وبين وجه الفتاة النضر الذي انعكس في المرآة. لكنها لم تعتد وضع الكثير من الزينة، ولن تفعل هذا الآن. . فهي ليست امرأة مغوية، ولا فائدة من محاولة الظهور بهذا المظهر.

ما إن أصبحت جاهزة، حتى ألقت نظرة أخيرة على نفسها في المرآة. . الكعبان العاليان زادا من طول جسمها النحيل. لكنها ليست مادة للعرض. . ولا بد أن بيبيتا ستبدو أطول منها حتى وإن انتعلت حذاء غير عالٍ.

لكن هذا لا يهم. . وقطبت لاعترافها هذا. . إنها هنا لدعم مات في

أزمته، وبطريقة ما لتشكره على كل ما فعله لروبرت والتوأم . .

نزلت السلم العريض الملتف بحذر، فآخر ما تحتاج إليه، هو أن تتعثر بالكعب العالي الذي لم تعتد انتعاله، وتتدحرج إلى الأسفل، وما إن وصلت الردهة المعتمة حتى توقفت. . إذ لم تكن متأكدة أين تجد مات.

ـ سنيوريتا؟

ملاك مخلّص ظهر من جهة المطبخ. سألتها بيلار: «تريدين السنيور. . سي؟»

أجل. . وهزت رأسها، وشعرها يلتمع كيفما تحركت.

ـ لست متأكدة مما إذا كان في غرفة الاستقبال؟

ـ لا. . لا سنيوريتا. . الغرفة الزرقاء. . أظن.

وقادتها بيلار إلى إحدى غرف الاستقبال، وفتحت لها الباب الفخم، ثم أفسحت لها المجال لتدخل. وفي لمح البصر لاحظت أنّ الاثنين يقفان قرب النافذة وقد ابتعدا لتوّهما عن بعضهما البعض. . واستدار مات ليواجهها قائلاً ببرودة: «جورجي. . كنا ننتظرك. . تعالي واشربي بعض العصير».

كانا متعانقين. . حاولت جورجي التفكير بشيء تقوله، لكنها فشلت تماماً. وهكذا، دخلت الغرفة الجميلة المفروشة بأثاث بلون أزرق اللون، برباطة جأش، وأجبرت نفسها على الابتسام، فيما مدّت لها بيبيتا يداً متكاسلة وقالت: «يسرني أن أراك ثانية. وأرجو أن يكون أخوك بصحة جيدة؟».

ـ مرحباً بيبيتا. . أجل، روبرت بخير.

بدا صوتها ثابتاً وودوداً بهدوء. . لكنها أحست وكأنها تلقت لتوها صفعة على وجهها. . كانا متعانقين. . يدا بيبيتا مسترخيتان على سترة العشاء، ورأسها مرفوع نحو وجه مات. . هل كان يقبّلها حقاً؟ وضعهما يوحي بذلك، لكنها لم تر شيئاً.

قدم لها مات العصير، وتأملتها عيناه بجوع لبضع ثوان، لكن صوته

بدا مستوياً حين قال: «تبدين جميلة جداً الليلة جورجي».

ابتسمت: «شكراً لك».

وأخذت منه الكأس وكأن لا هم في هذه الدنيا يشغلها.

وكما توقعت، كانت بيبيتا ترتدي ثياباً فاتنة. بدا الفستان الحريري ذو فتحة العنق العميقة، واللون الأحمر، قمة في الإثارة، كما بدا جسمها مذهلاً. أما الحذاء الأحمر العالي، ذو الرباطات عند الكاحل، فأبرز ساقيها النحيلتين الرائعتين.

هل كانت بيبيتا تعرف أنها تنزل ضيفة على مات؟ وشكّت جورجي بالأمر، وشعرت بأن وجودها هنا غير مرحب به.

وسرعان ما اتضح لها أن مات هو من دعا بيبيتا لتبقى على العشاء.. وافترضت جورجي أنه لم يكن أمامه حل آخر. لكنها ستكون أمسية رهيبة بالنسبة لها.

ولا بد أن بيبيتا قررت أن تستأثر باهتمامه، مما جعل جورجي ترغب في لكمها على أنفها طوال الوقت. لم تبدِ بيبيتا أيّ فظاظة، لكنها طرحت مواضيع وتحدّثت عن أشخاص، لم تسمع جورجي بهم من قبل، وأصرّت على استبعاد جورجي.. وكان هذا مزعجاً، مزعجاً جداً.. لكنها لم تكن قادرة على فعل أيّ شيء.

الطعام الذي حضرته فلورا كان لذيذاً، وغرفة الطعام تماثل ما تراه في أفلام هوليود. لكن جورجي لم تأكل بشهية.. ولم يكثر مات الكلام.. وكان من الصعب على أحد، ما عدا بيبيتا أن يتلفظ بكلمة.. واستطاعت جورجي أن تكتشف كيف تحافظ المرأة الأخرى على جسمها النحيل، فهي لم تتوقف عن الكلام لتبتلع أي شيء.. وشعرت جورجي مرة أو مرتين أن مات يكاد يسأم.. أو لعله ندم الآن على اصطحابها معه بوجود بيبيتا؟

وشغلت هذه الفكرة بال جورجي طيلة تناولها الحلوى الرائعة من فطائر التوت التي حضرتها فلورا. حين أنهتها، فكرت في أنها لم تترك له خياراً آخر.. لقد أعلنت جورجي له أنها سترافقه بدلاً من أن تطلب منه

ذلك. لم تترك له أي خيار آخر. أليس كذلك؟

ما كان عليها أن تأتي إلى هنا. لقد ارتكبت غلطة كبيرة، كبيرة، ووجود بيبيتا يذكرها بذلك. يبدو أنّ المرأة الإسبانية تقضي معظم أمسياتها معه حين يكونان في إسبانيا؟ وبيبيتا على الأرجح واحدة من نساء كثيرات فاتنات يتنافسن ليلاحظ وجودهن.. فبماذا كانت تفكر بحق السماء حين رمت بنفسها عليه كما فعلت؟

وفجأة أحست أنها ساذجة جداً، وغبية. كل الثقة بالنفس التي منحها إيّاها الفستان تبخرت. لكنها في اللحظة التالية، رفعت ذقنها قليلاً، وضاقت عيناها، فستكون ملعونة لو أعطت بيبيتا فرصة التشفّي بها.. لن تنسحب خلسة، ولن تدعي الصداع، حتى وإن كانت تعاني منه في الواقع.. فكلام بيبيتا المتواصل يكفي للتسبب بصداع للأصم! واستمر حديثها إثناء شرب القهوة.. وعندما دقت الساعة الحادية عشرة، أحسّت جورجي أنها لن تستطيع التحمّل أكثر من دون أن تصرخ.. لكن بيبيتا وقفت في تلك اللحظة، بحركات بطيئة متكاسلة.

ابتسمت، ولامست ذراع مات وهي تقول: «شكراً لك على هذا العشاء اللذيذ، مات».

ووقف مات، ففكرت جورجي، والألم يعتصر قلبها، كم يبدوان مناسبين لبعضهما البعض.

ـ أبلغ أمك حبي مع الزهور. وإذا كان هناك أي شيء.. أي شيء أستطيع أن أفعله، فما عليك سوى أن تطلب.

ـ شكراً لك بيبيتا.

واستدار إلى جورجي ومدّ يده، ثم شدّها لتقف. وأدناها منه وهو يقول: «سترافقك إلى الخارج».

أحست جورجي أنّ حمرة الخجل صبغت وجنتيها، لكنها لم تستطع أن تحول دون ذلك فقد حملت كلماته وحركاته حميمية، لم تكن واثقة من أن مات يعنيها. لكن هذا ضرب وتراً حساساً عند بيبيتا، إذ رمت جورجي

بنظرة قاسية كالحجر.

وبقي مات ممسكاً بيد جورجي وهم يتوجهون إلى الردهة. وفتح الباب الأمامي، وخطا الجميع إلى الخارج، من دون أن يبدو عليه أنه لاحظ محاولاتها المهذبة للتخلص من قبضته.

كانت پيپيتا تقود سيارة بورش حمراء لماعة، بدت وكأنها تلخص الأمسية كلها بالنسبة لجورجي. . وإما صدفة وإما عن تصميم مسبق، كشفت پيپيتا الساقين السمراوين الناعمين وهي تصعد بخفة إلى مقعد القيادة. . ثم انطلقت السيارة، وخلال لحظات أصبحا وحيدين.

وأخيراً، تمكّنت جورجي من الابتعاد عنه وهي تتظاهر بتسوية رباط حذائها، ثم استقامت وقالت بصوت بارد: «سيارة رائعة».

ـ أجل. . إنها كذلك.

وكان وجهه في الظل فلم تستطع رؤية التعبير الذي ارتسم في عينيه.

ـ هل تعيش في مكان قريب؟

وأملت أن يبدو صوتها مهذباً، لكنها لاحظت حدّته بشيء من الخيبة.

ـ قريباً جداً.

ـ هذا ملائم جداً.

وارتفع الحاجبان السوداوان، فأضافت بسرعة: «لأغراض العمل. . أعني».

وافق بلطف: «طبعاً».

وساد الصمت ثانية، ثم أرعبها حين قال بهدوء: «لا داعي للغيرة جورجي».

ـ الغيرة؟

وودت أن تلكمه على أنفه، وصدمها رد فعلها لأنها في العادة ليست عنيفة.

ـ أعتقد أنّ مخيّلتك تجمح يا مات.

ـ ممكن.

ـ وأؤكد لك أنّ ما من عظمة واحدة في جسمي تغار!

ـ وهو جسم رائع.

نظرت إليه بغضب شديد. . كيف يجرؤ على الإشارة إلى أنها تغار من پيپيتا؟ غرور هذا الرجل لا يحتمل!

قال مات من خلفها وهما يدخلان المنزل:

ـ كانت والدة پيپيتا التي ماتت منذ ثلاث سنوات، صديقة أمي المقرّبة. وكنت في العاشرة من عمري حين ولدت پيپيتا، وراقبتها وهي تكبر.

قالت بحدة: «لست مضطراً لأن تشرح لي».

قال بسرعة وهو يمسك ذراعها ويديرها بعد أن أقفل الباب: «أنا لا أفعل هذا لأنني مضطر. . بل لأنني أريد هذا. أنا لا أرغب بأي سوء تفاهم بيننا».

نظرت إليه وعيناها الواسعتان تعكسان الشك.

وأكمل بسرعة: «پيپيتا من العائلة، وهذا كل ما في الأمر».

أرادت أن تصدقه. . لكن هذه الرغبة حملت تحذيراً خاصاً. إنه لغز صرف. . لا تفهمه، ولن تفهمه أبداً. . إنه يريدها الآن، لكنه هوس عابر. لقد اعتاد النساء القانعات اللاتي يمرحن معه قدر ما يشاء، ثم يتركن حياته بسهولة كما دخلنها. . لكنها ليست كذلك، سوف تتركه محطمة، منهارة، ومتمسكة بساقيه! فهي تحبه.

قالت بثبات، وصوت هادىء: «كما قلت مات. . لست مضطراً لأن تشرح لي. . لقد رافقتك لأنني اعتقدت أن وجود صديق سيساعدك في وقت عصيب، وهذا كل ما في الأمر».

ولعل هذه أغبى خطوة اتخذتها في حياتها.

ـ أنت طيبة جداً مع أصدقائك جورجي.

وانحنى ليلف ذراعيه حولها قبل أن تدرك ماذا يفعل. . وعانقها بشوق، وتملك ونهم.

لو قال لها أحدهم قبل دقيقتين أو ثلاث، أنها ستتجاوب مع عناقه لسخرت منه. لكن هذا بالضبط ما فعلته بعد أن اجتاحت كيانها موجة حب مشبوب.. والتفت ذراعاها حول عنقه. وعجزت عن مقاومته، كما عجزت عن ضبط مشاعرها وأحاسيسها.

لم يبتعد عنها إلا حين ارتجفت وضعفت بين ذراعيه.. ثم حمل صوته سخرية حادة حين تمتم: «طيبة جداً».

إنها مجرد لعبة بالنسبة إليه. وأعطاها هذا العزم اللازم لتخطو إلى الوراء وتقول بعناد: «ليلة سعيدة مات».

توقّعت أن يحاول منعها، لكنه لم يتحرك وهي تصعد السلم. وكانت قد وصلت إلى منتصف الطريق حين استوقفها صوته: «أريد أن ترافقيني إلى المستشفى غداً، لتقابلي أمي».

وبقيت مسمرة لجزء من الثانية ثم سيطرت على أساريرها، واستدارت، لتقول بخفة: «أودّ أن ألتقيها».

هذا لا يعني شيئاً.. حذرت نفسها بحزم وهي تتابع صعود السلم.. لا شيء. يبدو أنه يشعر بضرورة تقديمها لأمه بعد أن قطعت كل تلك المسافة من انكلترا.. ولا بدّ أن أمه ستستغرب إن لم يفعل. مع ذلك، بؤس الأمسية التي أمضتها مع بيبيتا، تلاشى وكادت تطير إلى جناحها. قطعت غرفة الجلوس، واتجهت فوراً إلى غرفة النوم حيث وقفت أمام المرآة، وراحت عيناها تتفحصان وجهها المحمر. ثم تنهدت تنهيدة عميقة، واستدارت لتخلع حذاءها قبل التوجه إلى الحمام.

سوف تأخذ حماماً ساخناً وتستلقي في المغطس نصف ساعة على الأقل.. فتورها يمنعها من النوم. هذه الأيام القليلة هي خطوة قصيرة خارج الزمن، بهذه الطريقة يجب أن تنظر إلى هذه الأيام. بيبيتا.. علاقة الحب التي فشلت في الجامعة، نساؤه الأخريات.. ستجن لو حاولت التفكير في هذا كله.

يجب أن تتصل بروبرت غداً، وتؤكد له أن كل شيء على ما يرام..

لقد بدا قلقاً حين أعلمته أنها سترافق مات إلى اسبانيا، مع أنه هدأ قليلاً حين أخبرته عن مرض أمه. لكنها تعرف أن أخاها لم يكن سعيداً بالأمر حين وضع السماعة من يده.. هل خمّن مشاعرها نحو مات؟ لا.. ليس روبرت. فقدرته على الملاحظة ليست قوية. لعله أراد أن يحذرها من التورط، وأن يعلمها أنّ رجلاً مثل مات دو كابسترانو لا يقدم الزهور عند الباب. حسن جداً.. إنها تعرف هذا.

***

www.elromansia.com
روايات رومانسية

٩ ـ جني القمقم

لم تعرف جورجي ما إذا كان السبب هو الحمام الساخن أم الطاقة التي صرفتها، إلا أنها استيقظت نشطة في الصباح التالي بعد نوم عميق، من دون أحلام. وكانت پيلار هي التي أيقظتها، حين وضعت كوب قهوة يتصاعد منه البخار على الطاولة الصغيرة قرب السرير، وقالت بلطف: «سنيوريتا، نمت جيداً.. سي؟ استيقظي الآن».

ـ كم الساعة؟

ـ الساعة العاشرة، سنيوريتا.

وشهقت جورجي، لكن پيلار أضافت: «لا مشكلة، السنيور سبح، ويطلب منك أن تنزلي لتناول الفطور.. سي؟ في..».

ورفعت پيلار أصابعها، فخمّنت جورجي: «عشر دقائق؟».

ـ سي.. سي.. سنيوريتا.. عشر دقائق..؟

ـ حسناً.

ارتدت بنطلون جينز وبلوزة ضيقة بلون زرقة السماء، ونظرت إلى ساعتها. عشر دقائق بالضبط، من الأفضل أن تنزل.

أحست أنها تسيطر تماماً على نفسها وهي تسير إلى غرفة الفطور، لكن رباطة جأشها تلاشت بعد لحظة. كان مات يجلس إلى طاولة الفطور يقرأ صحيفة، وبدا واضحاً أنه استحم لتوه، ربما بعد السباحة وكان يرتدي عباءة سوداء مفتوحة حتى الصدر.

سألها مات بصوت أجش: «هل نمت جيداً؟».

ـ نعم، شكراً لك.

وتنحنحت تجلي حنجرتها: «هل اتصلت بالمستشفى؟ كيف حال أمك؟».

ـ أمضت ليلة هادئة، وصديقي معها الآن.. سيجرون الجراحة باكراً في الغد.. بعد أن تتاح له فرصة إجراء الفحوصات الضرورية.

هزت جورجي رأسها.

ـ قهوة؟

وكان قد بدأ يصب لها الفنجان وهو يتكلم، فأرسلت حركة جسمه الكبير رعشة في أوصالها.

ـ شكراً لك.

أخذت الفنجان، وارتشفت منه بسرعة، فاحرقت فمها. لكنها حاولت أن تتظاهر بأن عينيها لم تدمعا من شدّة الألم.

قال مات من دون اكتراث: «تفضلي وتناولي الفاكهة والكرواسان.. ستقدّم لنا فلورا فطوراً مطبوخاً بعد قليل، وستشعر بالإساءة إذا لم تأكلي ما في صحنك».

أجفلت جورجي: «حقاً؟».

كانت قد رأت كمية الطعام التي يلتهمها مات من دون جهد..

قال مات مهدئاً: «طلبت منها أن تحضر القليل فقط لك.. أنت لا تأكلين كثيراً.. أليس كذلك؟».

ردت بسخط: «بل آكل كثيراً.. ولكن لا تنسَ أنني أقصر منك، وأزن على الأرجح نصف وزنك. وبنية النساء تختلف عن بنية الرجال».

ربما لم يعكس هذا الكلام ذكاءً خارقاً. وراقبت العينين السوداوين تظلمان وهو يتمتم: «أعي هذا.. جورجي».

أبعدت عينيها عن وجهه، وعما يبدو خلف ذلك الوجه، وركزت على الفاكهة والتوست والكرواسان والمربيات على الطاولة، ومدت يدها بسرعة إلى دراقة ناضجة وبدأت تقطعها في صحنها..

التهم مات قصعة حبوب وأتبعها بموزة مقطعة ودراق. وأضاف قطعتين من الكرواسان يعلوهما الزبيب المنزوع البذور، قبل أن تظهر فلورا وهي تجر عربة تحمل أطباق الفطور.

كانت جورجي ممتنة جداً لأن فلورا اتبعت نصيحة مات. . لكنها نظرت بذهول إلى طبق مات.

لاحظ نظرتها المشدوهة، فقال بصوت مرح: «أنا صبي كبير. . ويجب أن أحافظ على قوتي على أمل. . ».

سألته من دون وعي، وقد شغل فكرها النقانق واللحم المجفف، والبيض، والفطر، والطماطم، والبطاطس المقلية والبصل التي تزين طبقه.

ـ على أمل ماذا؟

وحين طال الصمت، رفعت عينيها إلى وجهه، فقال بخشونة: «على أمل فقط».

وأخفضت عينيها على الفور إلى طبقها. . وقضمت قطعة نقانق وهي تصلي لتمالك نفسها. . وابتلعت قطعة فطر بطريقة خاطئة فسعلت ثم غمغمت، وزاد مات الطين بلة حين ترك مقعده ليربت على ظهرها ويقدم لها كوب ماء.

ـ أنا بخير.

وتنفست بعمق محاولة تجاهل الساقين القويين إلى جانبها. .

ـ هاك.

وانحنى يمسح عينيها الدامعتين بمنديل طعام فأحسّت بدوار من رائحة صابون الاستحمام على بشرته النظيفة.

أنهت فطورها من دون أيّ حادث مؤسف آخر، إلاّ أن كل عصب وعضل في جسمها بقي مشدوداً ولاحظت كل حركة من الجسم الرجولي قبالتها. من ناحية أخرى، بدا مات مسترخياً، يتناول فطوره بمتعة ظاهرة.

ربما من الأفضل له أن يفعل. . فهي لن تتباهى بنفسها! مع أن مات لم

يكن يتباهى بنفسه. . واعترفت بهذا صامتة. . إنه رجل واثق من نفسه.

ـ إذن. .

ورفعت رأسها وهي تتناول بعض الطعام بشوكتها من الطبق، وتضعه في فمها، فرأت مات ينظر إليها بعينين من دون قرار.

سألت بقلق: «نعم؟».

قال بحزم: «سنزور المستشفى بعد الظهر، بعد غداء مبكر. فماذا تودّين حبيبتي أن تفعلي هذا الصباح؟».

ارتجف صوتها قليلاً وهي تقول: «أي شيء. . لا مانع عندي».

ـ لو أنك فقط. .

وضحك بصوت منخفض حين قرأ تعابير وجهها.

ـ حسن جداً. . بما أن لا فائدة من اقتراح صباح متكاسل في الفراش، وبما أنك قمت باستكشاف الحدائق بالأمس، فسأريك المنطقة المحيطة بنا. . أيناسبك هذا؟ وقد نتوقف لنأكل شيئاً قرب المستشفى بدلاً من العودة إلى هنا.

ـ كما تشاء.

ـ كم أنت مذعنة.

نظرت إليه، غير واثقة من نواياها. وفجأة تغير تعبير وجهه وابتسم بخشونة: «هناك طفل مدلل مزعج في كل رجل يكوينا ولقد اكتشفت أنني مثل أي رجل منذ التقيتك. ولا يعجبني هذا. لقد ظننت أنني أكبر من هذا التصرف الخسيس. . لكن يبدو أنك تخرجين أسوأ ما في طبعي. . لو كنا عاشقين لزال، كل هذا التوتر، ولأصبحت الحياة أكثر حلاوة لكلينا».

ردت بحدة لاذعة: «الحياة حلوة بما يكفي. . شكراً».

ـ كاذبة.

وكان هذا توبيخاً ساخراً، لكنه ترافق مع ابتسامة وجدت جورجي صعوبة في الرد عليها. . إنه رجل يثير الاضطراب. . في الأسابيع الأخيرة أحست وكأنها تعيش على حدّ سيف، وهذا أمر مرهق. الجو ذاته يبدو

وكأنه مشحون في حضوره. يبدو أنه يستمتع بلحظات الصمت هذه ليزيد الأمور سوءاً.

ـ تعالي.

ووقف ثم مدّ لها يده وهو يتقدم إلى كرسيها: «إذا كنت تصرّين على حرماننا معاً، فلا أستطيع سوى أن أصبر حتى تعترفي بخطئك».

ـ مات..

وصمتت وهو يشدها لتقف.. وضمها بلهفة مثيرة. عانقها طويلاً وبصدق، وسمحت جورجي لنفسها بالتنعم لحظات أخرى قبل أن تبتعد بحزم.

تمتم، من دون أن يتركها تفلت: «أعرف.. أنت لست هذا النوع من الفتيات».

سألته في محاولة مرتجفة: «أي نوع؟».

ـ النوع الذي يتقبّل الغزل في غرفة الطعام.

لو أنه يحبها كما تحبه لما اهتمت للمكان!

وتمكّنت من أن تقول بعد برهة: «أعتقد أن پيلار ستتفاجأ قليلاً.. ألا تظن هذا؟».

وابتعدت عنه، وتراجعت إلى الوراء قليلاً، قبل أن تضيف بهدوء:

ـ في أي وقت تريد المغادرة؟

ـ بعد نصف ساعة. هذا سيعطيني الوقت الكافي لأستحم.

فقالت بدهشة: «ظننتك استحميت».

ـ سآخذ دوشاً بارداً جورجي.

وحين خرجت جورجي إلى دفء يوم إسباني حار بعد نصف ساعة، كان مات ينتظرها خلف مقود سيارة فضية جميلة، هدرت بلطف وهي تدخلها.. وسألت بخفة لتخفي تأثيره على توازنها: «لعبة أخرى للصبي؟».

ـ تماماً.

وابتسم، ولمعت أسنانه البيضاء وسط بشرته السمراء.

واستمتعت برؤية بلده بقدر ما تمتعت برفقته. تناولا الغداء في ساحة مظلمة في بلدة صغيرة مرصوفة بالحصى. وكان برج الكنيسة المرتفع في البعيد، يشقّ السماء الزرقاء.. بدا المكان كالجنة.. أو بالأحرى وجودها مع مات أشبه بدخول الجنة.. لكنها جنة محفوفة بالمخاطر.

حين وصلا المستشفى وجدت جورجي أنها متوترة. إن والدة مات هي أقرب الناس إليه وأعزهم عليه. وبالرغم من أنه لم يعبّر عن حبه بالكلمات، إلا أنها عرفت أنه يحب أمه حباً عميقاً.. وأمه صديقة پيپيتا.

كانت المستشفى فخمة.. وبدا أن حصانة ما ترافق مات.. فقد راح يحني رأسه بالتحية على طول الممر حتى غرفة أمه.

لم تعرف ما إذا أحس بتوترها لكنه قال بصوت مهدئ: «كوني كما أنت. ستنسجمين معها».

وقبل أن تردّ عليه، قرع الباب وفتحه، ثم قال بصوت دافئ: «زوار للسنيورا دو كابسترانو».

ـ مات..

وكان الصوت إنكليزياً، لكنه معطر بحلاوة شجية تشير إلى سنوات أمضيت في جو دافئ.

ـ كنت أنتظرك أنت وجورجي.

ولم تدرك جورجي أنها دخلت الغرفة، فقد كانت أحاسيسها كلها معلّقة بوالدة مات.

كانت السنيورا دو كابسترانو من النساء اللواتي لا يمكن تحديد عمرهن بسبب جمالهن. إنما، لا بد أنها تخطت الخمسين.. فمات في السادسة والثلاثين.. لكن المرأة الشقراء، الراقدة في السرير بدت في الأربعين. أما شعرها الأشقر المختلط بالفضة، فقد أضفى تألقاً على بشرتها البيضاء القليلة التجاعيد.

كانت جميلة.. بل رائعة الجمال.. وكانت تبتسم بحلاوة.. ابتسامة

دافئة أدهشت جورجي. . لم تكن تعرف ماذا تتوقع. . ربما تحفظ قوي، أو عدائية لأن بيبيتا صديقتها. . لكن والدة مات، إما أن تكون ممثلة بارعة، وإما مسرورة حقاً لرؤيتها.

قال مات بصوت حنون: «جورجي، هذه أمي. . أمي هذه جورجي».

أشارت يد نحيلة شاحبة إلى كرسي: «تعالي واجلسي عزيزتي».

وعندما تقدم مات ليجر كرسياً آخر قالت أمه بسرعة: «أعتقد أن الطبيب، صديقك جيف أولستون، يريد أن يكلمك عزيزي. . لقد أصر على أن تراه ما إن تصل. أظنه يريد الذهاب إلى فندقه لينام في أسرع وقت ممكن».

والتفتت النظرة الناعمة إلى جورجي وهي تتابع بصوت متسامح: «لقد أرسل ابني بطلب السيد أوليستون المسكين عبر العالم في منتصف الليل. . ولقد جاء. هذه هي الصداقة الحقيقية. . ألا تظنين هذا؟».

يمكن لمات أن يستدعي أي شخص من دون أن يواجه بالرفض. . إنه من هذا النوع من الرجال. لكنها ابتسمت ببساطة، وتركت الأمر عند هذا الحد.

وبدا مات كارهاً أن يغادرهما: «الآن؟».

ابتسمت سنيورا دو كابسترانو بلطف: «الآن. . إنه طبيب لامع، كما فهمت؟ الجميع يرهبه هنا».

أظهر تعبير مات بوضوح أنه لا يرهبه: «لن أغيب طويلاً».

ـ خذ وقتك يا عزيزي. . أنا وجورجي سنتعارف قليلاً.

حين أقفل الباب التفتت السنيورا دو كابسترانو إلى جورجي، وتأملتها طويلاً، ثم قالت بنعومة: «إذن أنت هي».

نظرت جورجي إليها بحيرة: «عفواً؟».

ـ تحدّث مات عن صديقته الإنكليزية أكثر من مرة مؤخراً. لكنني لم أعتقد أننا سنتقابل في مثل هذه الظروف.

قالت جورجي بحذر: «فهمت أنك أفضل حالاً بقليل؟».

ـ أجل. . أجل.

وكان صوتها نافد الصبر، ولأول مرة استطاعت جورجي أن ترى مات في المرأة الجميلة التي أمامها. وسادت لحظة صمت، ثم قالت والدة مات: «اسمي جوليا، جورجي. وأودّ أن نصبح صديقتين».

ـ وأنا كذلك.

ولم تعد جورجي تفهم شيئاً.

وكانت العينان الجميلتان ثاقبتين: «هل أستطيع التكلّم معك بصورة سرية؟ تعرفين أنني سأخضع لجراحة في الغد؟».

هزت جورجي رأسها إيجاباً.

ـ إذن سأغتنم هذا كعذر للتخلّي عن كل الآداب والتقاليد وأصل فوراً إلى صلب الموضوع. . أنا أحب ابني جورجيا. . وأريد الأفضل له.

كان يمكن أن تتكلم بطريقة غير ودود، لكنها لم تفعل. وجلست جورجي تنتظر، وهي تعرف أن عليها أن تبقى صامتة.

ـ حين التقيت زوجي وأحببنا بعضنا بعضاً، واجهنا معارضة كبيرة من عائلته.

ولم يكن هذا، ما توقعت جورجي أن تسمعه، واتسعت عيناها للحظة. لكن جوليا تابعت: «وتحملنا العاصفة إلى أن وصلنا إلى مياه أكثر هدوءاً، وهذا لم يحدث إلا بعد ولادة ماتيو. . وعندما قبلتني العائلة. لقد أعطيت زوجي ابناً، لذا أصبحت الأمور على ما يرام. . ولم يعد يهم أنني إنكليزية. . أما بالنسبة لوالد ماتيو ولي، فلم يكن الأمر مهماً منذ البدء. . فقد كنا نحب بعضنا بعمق. . ولو بقينا من دون أولاد مدى الحياة لبقينا معاً.

قالت جورجي بنعومة: «كنت محظوظة جداً. . أخي وزوجته كانا كذلك».

اهتز الرأس الأشقر الفضي، وقالت جوليا بهدوء: «لقد تربى ماتيو في بيت محب. . لكنه يملك الخصائص الجينية لأهل والده في دمه. كان

زوجي رجلاً رائعاً، لطيفاً ورقيقاً، لكن أبويه وجديه.. كانوا متكبرين وقساة جداً. ويمكن للمرء أن يكون ظالماً».

قالت جورجي بهدوء: «لا أفهم؟».

ـ كانوا من النوع الذي لا ينسى الإهانة أو أي أذى تعرضوا له.. يطلبون الثأر، وضغينة الدم والشرف.. وهذه كانت اللغة التي يتحدثون بها ويعيشونها.. وابني ليس مثل أبيه جورجي، لكنه مثل أجداده أيضاً. هناك القليل من الاثنين في مات، كما أعتقد. ولسوف تشكل الحياة ما سوف يبرز أولاً.. الحياة أو امرأة.

نظرت جورجي إلى المرأة، وعيناها مشعتان بفهم مفاجىء. لكن جوليا فهمت الأمور بطريقة خاطئة.. مات لا يحبها. وليس لديها تأثير عليه، ما عدا أنه يريد جسمها. لكن كيف تقول هذا لأمه؟

لم تعد جوليا تنظر إلى جورجي، بل استدارت لتنظر من النافذة المقابلة لسريرها: «حين يُجرح شخص مثل ابني، يكون جرحه عميقاً، ويلزمه مشاعر عميقة مماثلة لمعالجة الألم والوصول إلى الشفاء».

لم تعرف جورجي ماذا تقول.. لكن عليها أن تقول شيئاً، لتوقف سوء التفاهم الرهيب.

ـ جوليا؟ إذا كنت تعتقدين أنني الشخص الذي يمكن أن يحمل الشفاء لمات من حادثة ما في ماضيه، فقد فهمت الامور خطأ، لأنه لا يحبني. لقد سبق أن قال لي إنه لا يؤمن بالحب أو الالتزام.

قالت متنهدة: «الشرف والكبرياء».

أخذت جورجي نفساً عميقاً.. يجب أن تتكلم وإن كان ما ستقوله شديد القسوة.. وقالت بهدوء: «إنه يريد علاقة معي وهذا كل شيء.. علاقة غرامية قصيرة.. إنه.. إنه مهتم لأنني لم أرتم بين ذراعيه».

تركزت عينا جوليا المذهلتان على وجه جورجي المتورّد، وبقيتا تتأملانه لما بدا وكأنه إلى ما لا نهاية.. ثم قالت والدة مات بهدوء: «إنه يحتاج إليك جورجي.. لكن ما هي مشاعرك؟ هل تهتمين لأمره؟ تهتمين

حقاً لأمره؟».

لزم جورجي قوة أكبر مما يمكن أن تدركه جوليا لتنزل دفاعاتها وتقول بثبات: «أجل.. أحبه. لكنني أفضل ألاّ يعرف».

ـ أستطيع فهم هذا. وأعدك ألاّ يعرف مني، لكن مقابل هذه الثقة، أريد أن أخبرك أمراً، خاصاً جداً، أمراً لم أتكلم عنه من قبل، ومع أيّ إنسان.. لكن أنت.. أريد أن أقوله لك.

حدّقت جورجي بالوجه الجميل. وأحست بارتجاف يسري في أوصالها.. كان هذا أبعد بكثير من الصداقة، وتملكها شعور بأن الأمر سيزداد سوءاً.

ـ حين ذهب مات إلى الجامعة، كان فتى لامعاً وقوياً، ولديه حماسة للحياة لا يمكن شكمها، حين تخرج، كانت القوة والنبوغ لا يزالان موجودان، لكن الحماس للحياة انقلب إلى رغبة في أن يمسك بخناقها وهذا كان..

وترددت جوليا، وتحركت يدها إلى عنقها: «كان هذا بسبب فتاة».

ـ بيغوينا.

سألت بحدة وبوجه ذاهل: «وهل أخبرك عن بيغوينا؟».

ـ لا.. حسن نعم.. على الأقل.

وحاولت جورجي جمع أفكارها.

ـ قال إنه عرفها لثمانية عشر شهراً، ثم انتهى الأمر.

نظرت جوليا إليها للحظة أخرى قبل أن تهز رأسها: «لم يكن الأمر بسيطاً هكذا.. لكن، وبحسب معرفتي بابني لا أتوقع منك أن تعرفي. لقد أحب بيغوينا، وغدرت به.. لكن ليس بالمفهوم العادي. لقد بقيا معاً مدة سنة.. أتعرفين هذا؟».

وهزت جورجي رأسها بألم.. أجل إنها تعرف.

ـ وحدث شيء مريع.. فقد تلقينا مكالمة هاتفية من الجامعة تقول إن مات مفقود، وإن الشرطة تبحث عنه.. ثم وصلتنا رسالة تطلب فدية.

كانت تقول إن مات مخطوف إلى أن نسلّم مبلغاً من المال في نقطة محددة. . وأوصلنا المبلغ. . وأطلق سراح مات من غرفة صغيرة تحت الأرض سجن فيها خمسة أيام، وترك في مكان مجهول. لكن ابني ليس غبياً جورجي.

أكملت: «لقد لاحظ الأصوات والمسافة التي قطعوها، وإن كان معصوب العينين ومكبلاً. . وأخيراً وجدت الشرطة الشارع والمكان. بعدها ازداد الأمر سوءاً، ولن أضجرك بالتفاصيل. . لكن يكفي أن أقول إنّ الخاطفين هم أصدقاء له كانوا بحاجة للمال لإدمانهم المخدرات».

الخوف من الأماكن الضيقة. . ونظرت جورجي إلى والدة مات برعب. . وهمست بضعف: «وكانت بيغوينا واحدة من الخاطفين؟».

هزت جوليا رأسها: «لم يكن مات على علم بإدمانها. لو عرف لساعدها. . ولكن عملية الخطف أثرت عليه بعمق. . إنه. . لم يعد كما كان. . فقد أصبح مشككاً وبارداً».

هزت جورجي رأسها. تستطيع أن تفهم هذا. . وسألت بهدوء: «وماذا عن بيغوينا؟».

ـ لقد تلقت مع الآخرين حكماً بالسجن. والدا أحد الشبان المتورطين عيّنا محامياً ماكراً، أصر على أن ما حدث مزحة سمجة طائشة، أخذت مساراً خاطئاً، لكن نظراً للمبلغ المطلوب لم يُقبل بهذه الحجة. . وتبيّن أن بيغوينا كانت على علاقة غرامية مع ذلك الشاب إضافة إلى مات.

هزت جورجي رأسها ببطء، وشعرها يلامس خديها بلطف. .

ـ منذ ذلك الحين، عاشر مات النساء طبعاً. لكنه كان يختار الجميلات والسطحيات بما يتناسب مع نمط حياته. . شقيقته فرانسيسكا تدعوهن «الدمى» وهي على حق. . يبتسم مات حين تقول له شقيقته هذا. . لكن حين تكلم عنك. . لم يبتسم. . لا. . لم يبتسم.

تململت جورجيا في المقعد: «جوليا. . إنه لا يحبني. مهما كانت مشاعره، لقد أوضح لي أنه ليس حباً».

قالت والدة مات بنعومة: «إذن فهو غبي».

قالت جورجي بخشونة: «هذا ما قاله عن غلين. . خطيبي السابق. لقد. . تخلى عني بشكل سيء».

ـ ودعاه مات بالغبي؟ حسن. . حسن. .

وتراجعت جوليا مستلقية على الوسائد الوثيرة خلفها، وتفرست بجورجي مجدداً: «لا تستسلمي جورجي. . ليس بعد. . يلزم وقت طويل للخروج من الظلمة إلى النور. . خاصة إذا كانت تلك الظلمة الحماية الوحيدة من خطوة عملاقة تجعل من خطوة نيل آرمسترونغ على القمر خطوة سهلة. . أنا أعرف ابني، وأعرف ما كان عليه والده. لقد أحبني زوجي كثيراً. وهكذا سيحب مات حين يجد المرأة المناسبة».

وإذا لم تكن هي المرأة المناسبة؟ ماذا سيحلّ بها؟ وغشيت الدموع عيني جورجي الخضراوين. والدة مات تحبه وهذا طبيعي، لكنه يؤثر في نظرتها للأمور لمصلحة مات. . فماذا عن مصلحتها هي؟

يمكن لمات أن يحصل على أيّ امرأة يريد، وهو يعلم هذا. إنه وسيم وثري وقوي، في حين أنها فتاة عادية من بلدة صغيرة في انكلترا التقاها صدفة، ولم تقل له بالضبط ما يريد أن يسمعه. وهذا ما أثار اهتمامه، وحيّره. . لكن ماذا سيحدث حين تنتهي المطاردة ويحصل الصياد على فريسته؟

قالت جورجي بهدوء: «أظنك مخطئة في ما يتعلق بمشاعر مات. لكن أشكرك لأنك أطلعتني عما حدث في ماضيه، فهذا. . يشرح الكثير».

هزت جوليا رأسها: «يشرح الكثير. . أليس كذلك؟. . لكن بالنسبة إلى أنني مخطئة. . حسن جداً، الوقت وحده سيحكم».

الوقت. . هل سيكون صديقاً أم عدواً؟ وتمنّت أن يكون الأول، لكن المنطق البارد، أعلمها أنه سيكون العكس.

ثم انفتح الباب، وعاد مات. وبالرغم من كل مخاوفها، تقفز قلب جورجي وهي تلتفت إليه.

أمضيا أكثر من ساعة في المستشفى، وعندما غادراها، عرفت جورجي أنها أحبت والدته، فجوليا حلوة، ومحبة. وتفهمت جورجي ما جذب والد مات إلى عروسه الإنكليزية بعد أن تربّى في بيت، على ما يبدو، خالٍ من الحب والضحك.

بينما كانت جورجي تودعها، قالت جوليا بصوت مصر: «ستأتين مرة أخرى قبل أن تسافري؟».

ـ إذا أردتِ أن آتي.

ـ أريد ذلك.

وكان الرد واضحاً.. وما إن خرجت إلى الممر، حتى أمسك مات ذراعها، وأدارها لتواجهه ثم قال بهدوء: «قلت لك إنكما ستعجبان بعضكما البعض».

وتملكها شعور سخيف.. سخيف حقاً. ولعل السبب مشاعرها الشديدة الحساسية التي أثارها حديثها مع جوليا. لكن، ولسبب ما، أحسّت جورجي أنه ليس مسروراً بكيفية سير الأمور. فقد نظرت العينان الرماديتان إليها نظرة غامضة تخفي خلفها أفكاره، ثم تابعا السير في الممر. وضاعت هذه اللحظة وهما يتمتعان ببقية اليوم معاً.

سارت عملية جوليا الجراحية على ما يرام في الصباح التالي. وبعد أن زار مات المستشفى، عاد قبل الغداء ليجد جورجيا في الحدائق. وكان صوته خفيفاً وناعماً وهو يقول: «أحضري ثوب سباحة ومنشفة.. سآخذك إلى شاطىء البحر، حيث سنسبح ونتكاسل طوال بعد الظهر».

ـ لكن، ماذا عن الغداء.

ـ ستوضب لنا فلورا سلة طعام.. وسنأكل في الطريق.. أعرف مكاناً رائعاً لتناول الطعام.

هزت رأسها، لكن ابتسامتها كانت حذرة، إذ بدا مختلفاً منذ زارا أمه في اليوم السابق. وقد أمضيا وقتاً ممتعاً بعد الظهر في التفرج على المناظر الطبيعية. كما اختار لتناول الطعام مطعماً صغيراً.

أحسنت التصرّف حين حملت ثوب سباحتها معها من انكلترا.. قطعة واحدة، لا تثير الاهتمام. حضرت منشفة حمام وانضمت إلى مات وهو يضع سلة الطعام في السيارة.

تفحّص جسمها النحيل المغطى ببنطلون جينز وقميص أحمر ضيّق، وصمت للحظة، قبل أن يقول بهدوء: «تجسيد للشباب!».

دفعت جورجي خصلة شعر حريرية وراء أذنها: «بالكاد.. أنا في الثالثة والعشرين مات».

وافق بجفاء: «عجوز».

نظرت إليه غير واثقة من مزاجه، لكنها عرفت أن هناك ما لم يعجبها في نبرة صوته، ثم صعدت إلى السيارة بصمت.. إذا كان يريد جدالاً، فبإمكانه أن يجادل نفسه.. ستمضي معه بضعة أيام فقط، ويجب أن توفر لها هذه الأيام ذكريات جميلة تحملها معها.

ما إن انطلقا، حتى انمحى عدم الارتياح لتأسرها المناظر المتغيّرة أبداً والتي امتدت أمام ناظريها. بيوت بيضاء بلون السكر، ذات شرفات من الحديد المغطى بطلاء لمّاع، وحدائق زهور مسوّرة تجاور بساتين صغيرة، وكنائس بسيطة من حجر الغرانيت، ومروج مسيّجة..

لقد أقسمت على أن تعيش الحياة لحظة لحظة مع مات، وألا تتوقع شيئاً، ولن تفسد اليوم بكثرة التفكير... قررت هذا بعد أن تجاوز السيارة طفلين حافيين.. كان الصغيران يقودان عنزة نحيلة على طريق ترابية، بقطعة حبل بالية حول عنقها.. عليها أن تتوقف عن التفكير بكل ما قالته أمه.. وأن تأمل بمعجزة.

ـ أعرف البقعة المناسبة للنزهة.

بعد مئتي يارد تقريباً، أوقف السيارة.. وقال بهدوء: «انظري.. إلى هناك، اعتاد أبي وأمي أن يصطحبانا أنا وفرانسيسكا إلى هنا قبل أن نذهب إلى الشاطىء. أختي تحب هذا المكان أكثر من البحر..».

والتفتت جورجي إلى حيث أشار. كان العشب ينحدر نحو ساقية

صغيرة بلورية، يحدها الحصى، والماء يجري فيها فوق أكوام ناعمة من الصخور المصقولة.. إنه واد صغير ساحر، واستطاعت تصور بهجة ولدين صغيرين يتناولان طعام نزهتهما قرب الساقية.

هل جاء بنساء أخريات إلى هذه الجنة التي تذكّره بأيام خلت؟ أيام كان فيها خالي البال، وسعيداً؟ ولم تجرؤ على السؤال.. وبدلاً من ذلك قالت بصوت هادىء: «هل تأتي فرانسيسكا بأولادها إلى هنا؟».

ـ تلك العشيرة من القرود؟

وتجعّدت عيناه وهو يبتسم، وامتلأ قلب جورجي حباً.. وأكمل:

ـ لن تستطيع جمعهم مرة أخرى إن أفلتتهم في العراء.

قالت جورجي مؤنبة: «أنا واثقة من أنهم ليسوا بهذا السوء».

ـ بل أسوأ.

وفتح باب سيارته، ثم استدار حول المقدمة ليساعدها على النزول، قبل أن يأخذ سلة الطعام وبساطاً من صندوق السيارة.

ـ إذا احتجت يوماً إلى ما يقنعني بأن الزواج والأولاد والاستقرار ليسوا لي، فزيارة إلى بيت أختي كافية.. إنه مستشفى للمجانين.

راقبته جورجي وهو يحمل السلة ويتوجّه إلى الساقية، لكن مرت لحظات قبل أن تتحرك. إذا لم يكن كلامه إنذاراً، أو على الأقل تذكيراً بكل ما قاله في الماضي، فما معناه إذاً. كيف يجرؤ؟ كيف يجرؤ على أن يحذرها هكذا؟ ثم صدمتها فكرة رهيبة.. هل قالت له أمه إنها اعترفت لها بالأمس، أنها تحبه؟ لكن لا.. لا.. إنها تثق بجوليا..

انقبضت معدتها وهي تجلس على البساط الذي فرشه على العشب.. فملاحظته صدمتها.. وهذا على الأرجح ما تحتاج إليه.

كان طعام النزهة يليق بدو كابستراتو، لذلك اختلف عما اعتادته جورجي من قبل.. عصير، ليموناضة من صنع فلورا، قطع لحم بارد، قطع ديك رومي، لحم بقر وغنم، سلطة هشة، بيض مسلوق جيداً، پاتيه، معجنات صغيرة، بطاطس مهروسة، جبنة ماعز، زيتون، وتستمر اللائحة

لتشمل الخبز وقطع الزبدة..

سألت جورجي بعد أن أكلا بصمت لدقائق: «كم شخصاً تنتظر فلورا يشارك في النزهة؟».

ـ أنت وأنا فقط بيكوينا.

وأعاد ملأ كأسه بالليموناضة، ثم صب لها كأساً من عصير الكشمش الأسود قبل أن يستلقي إلى الخلف على البساط ويغمض عينيه من وهج الشمس.

نظرت جورجي إليه، والجسم الكبير الرشيق ممدد إلى جانبها، مثل فهد يستريح، لكن مع كل الأخطار الموروثة والمسخّرة للحظة المناسبة. لاحظت نبضاً صغيراً يضرب في عنقه الأسمر، وأحست برغبة عامرة في أن تضع أصابعها عليه قبل أن تتمالك نفسها بحزم.

كان مات يسيطر سيطرة كاملة على مشاعره.. فلماذا لا تستطيع أن تتصرف على غراره؟ وشربت العصير بسرعة، ثم استلقت إلى الخلف على البساط الذي أدفأته الشمس.. يمكنه أن يتلاعب بها كما يشاء.. فهو يشغل رأسها، وفكرها، وروحها طيلة اليوم. كما أن قلبها متورط..

كانت الشمس دافئة على وجهها.. والنسيم العليل يداعب بشرتها بتكاسل، محمّلاً بعطر مئات الزهور البرية على وقع موسيقى خرير الماء. ولا بد أنها غفت، لأنها حين أحست بيد تلامس خدها، بدا لها وكأنه جزء من حلم تحلمه، حلم مثير مضطرب.

فتحت عينيها الخضراوين الناعستين، لتنظر إلى وجه مات فوق وجهها.. وللحظة طويلة، لم يتحرك أحد منهما، وكأنهما غرقا في عيون بعضهما البعض. ثم، وبصوت مخنوق تصاعد من أعماق حنجرته، ضمها إليه، وراحت نبضاتها المتسارعة تردد صدى دقات قلبه.

كان العناق حلواً بشكل موجع. وغمرها دفء عميق يبعث على التراخي، وتحرك إلى كل زاوية صغيرة وعصب فيها فضجّت أحاسيسها وتعاظم الألم في داخلها.

ثم أبعدها عنه، وقال بصوت غير ثابت أبداً: «حان وقت الذهاب كما أظن. . وإلا لن نسبح أبداً».

لم تكن تهتم بالسباحة، ولا بالشاطىء! كل ما أرادته هو أن تبقى هنا إلى الأبد، في هذا المكان الصغير بعيداً عن العالم الحقيقي والواقع. وراقبته يجلس، وقد تصلّب ظهره تحت قماش قميصه الأسود. لكن، حين استدار ليواجهها، كان قد استعاد رباطة جأشه مرة أخرى. .

ـ المكان ليس بعيداً.

وقدم لها يده وهو يقف، فأخذتها مبتسمة: «والبحر اليوم ممتاز. . هادىء وساكن».

على عكسها! وأغمضت جورجي عينيها ثانية، ثم فتحتهما لتراه يوضب السلة بدقة خبير. . لكنه يقوم بكل شيء بدقة. . وأحست بلحظة مرارة. . هذه هي المشكلة.

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة، والشمس مرتفعة في السماء حين خرج مات بالسيارة عند الدرب الملتوي الطويل، ووصل إلى فسحة من العشب، يمتد أمامها شاطىء لم ترَ جورجي مثله إلا في الاعلانات.

يمتد الخليج المعزول على سفح تلال تغص بأشجار الصنوبر. أما الشاطىء الأبيض المبهر للنظر، فمزيّن بأصداف لؤلؤية من خلفها المياه الزرقاء الصافية.

وأوقف مات السيارة. وأحست جورجي أنه يراقب وجهها. . لكن، مرت لحظات طويلة قبل أن تستطيع انتزاع عينيها عن السحر الذي أمامها، وتقول بصوت منخفض: «إنه أجمل مكان في العالم مات! شكراً لك».

شيء ما تحرك في وجهه وهي تتكلم، لكن صوته كان مكبوحاً حين قال: «هذا من دواعي سروري. . آنسة ميليت».

ـ مات. .

وصمتت بغتة، لا تعرف كيف تتابع الكلام لكنها لاحظت الألم تحت قناعه الغامض. . كان في تعبير وجهه شيء، أرسل رجفة في عمودها

الفقري. . إرادته صلبة كالحديد. . وشخصية قوية تخيفها. . لن تستطيع الوصول إليه. . لن تستطيع اختراق الألم خلف هذا القناع. . فهي لا تعرف الوسيلة إلى ذلك

أجاب: «نعم؟».

ـ لا يهم.

كافحت جورجي لترتدي ثوب السباحة، في حين شقّ مات المياه الزرقاء الصافية. . ولوح لها من حيث يسبح، من بين الأمواج الصغيرة.

كانت الرمال حارة تحت قدميها وهي تركض نحو الماء. . لكنها على الأقل مرتاحة في ثوب سباحتها الخاص.

وبالرغم من حرارة الشمس، كان الماء بارداً كالثلج. وشهقت لبرودته وهي تخوض فيه أكثر فأكثر متوجهة نحو مات. . وحين بدأت تسبح لم تعد تلاحظ البرودة. . كانت المياه كالحرير، رائعة، والموجات الصغيرة غير خطيرة أبداً.

غاب مات عن نظرها في اللحظة التي ظنت أنها قريبة منه، ثم صرخت دهشة، وابتلعت الماء المالح، وهو يبرز أمامها كجني من أعماق القمقم.

صاحت به: «لقد فعلت هذا متعمداً».

لكن حين أخذها بين ذراعيه، وغاصا معاً تحت المياه الصافية، نسيت غضبها. . هذه هي الجنة. . إنها الجنة، ولن تشعر يوماً أنها حية هكذا.

أمضيا نصف ساعة مجنونة في الماء، يتصرفان كولدين صغيرين هربا من مدرسة داخلية، قبل أن تتجه جورجي وهي مرهقة تماماً إلى الشاطىء. . أشار لها مات أنه سيسبح بشكل جدّي قبل أن يخرج. وبعد أن تهاوت فوق البساط الذي جاء به من السيارة، راقبته جورجي لبضع دقائق.

وقطع الجسد القوي اللين الماء بإصرار عسكري. ووجدت نفسها تتساءل عن العناد الذي لا يرحم والذي يقوده إلى دفع نفسه إلى أقصى حدودها. معظم الناس يعتبرون السباحة وسيلة علاج واسترخاء، لكن شعرت أنها بالنسبة لمات وسيلة أخرى ليثبت أنه قادر على السيطرة. . على

التغلّب على الطبيعة. وأحزنها هذا، ونغّص عليها الفرح الذي شعرت به حين سبحا معاً، واستلقت إلى الخلف فوق البساط، متعبة فجأة.

كانت الريح دافئة مالحة، وصوت الأمواج الخفيفة على الشاطىء كموسيقى مهدئة. لكنها لم تستطع أن تسترخي حقاً.. وبعد قليل، شعرت أن حرارة الشمس ترتفع أكثر من أن تتجاهلها فجلست، تلف نفسها بالمنشفة وكأنها شرنقة، وتتابع مراقبة مات وهو في الماء.

ثم خرج..

تأملته جورجي مذهولة، والجسم الأسمر الرشيق يسير على الشاطىء نحوها. إنه رائع. كل ما فيه منحوت حتى الكمال.

ولم تستطع انتزاع عينيها عنه وهو يقترب، مع أنها تعرف أنه لاحظ نظراتها المأخوذة.. وما إن أصبح على بعد خطوات منها، حتى وجدت القوة لتخفض عينيها وتتظاهر بأنها تسوي المنشفة حولها.

ـ هل تستمتعين؟

ـ ماذا؟

لدقيقة رهيبة، ظنته يشير إلى تحديقها الوقح فيه.

قال: «البحر أفضل بكثير من بركة السباحة. ألا تظنين ذلك؟».

أجبرت نفسها على أن ترد: «بكل تأكيد.. أوه قطعاً».

ـ هل ترغبين في شراب؟

ـ ماذا؟

أوه يجب أن تتوقف عن تكرار كلامه.

كرر بصبر: «شراب؟.. سآتي بسلة النزهة إلى هنا».

ـ ليموناضة، أرجوك.

صب لها كأساً، وآخر لنفسه، ثم ارتشف القليل منه قبل أن يستلقي إلى الخلف راضياً.

ـ هذا جيد جداً.

تكلم عن نفسك.. وقالت بضعف: «أجل.. إنه جيد جداً».

ـ قليل من الناس يعرف بأمر هذا الخليج.. إنه مهجور في العادة.

ولم يكن هذا أمر مطمئناً في هذه اللحظة بالذات.. ونظرت إليه بحذر.. ثم قالت باحتراس: «لا بد أنك مرهق بعد كل تلك السباحة.. لقد بقيت في الماء لأكثر من ساعة».

ـ لا.. أنا لست متعباً جورجي.

وعرفت ما ينتظرها. لكن حين استدار وأخذها بين ذراعيه، لم تحاول أن تدفعه عنها، إنها تحبه.. إنها بحاجة إليه كما لم تحتج أي إنسان يوماً.

تمتم بخشونة: أتعرفين ماذا تفعلين بي؟».

وكان السؤال منمقاً، لكنه أثار رداً في أعماقها.. رضى مجنوناً بأنه غير قادر على إنكار حاجته إليها..

إنها تحبه.. وتريد أن تعرف مدى هذا الحب.

فتحت عينيها المغمضتين، كي ترى وجهه، وتأملتها عيناه، حارتان سوداوان لامعتان. لكنه لم يستعجلها.. أدركت هذا، ويداه تضمانها بإصرار مغر.. كان يعرف ما يفعل.. يعرف ردود فعلها قبل أن تكتشفها هي.

كانت تستجيب له بحرارة بديهية، ورغبة وليدة حبها له.. وللحظات، شعرت بفراغ وخسارة لأن الأمر لم يكن مماثلاً بالنسبة له. فهو لا يحبها، بل يريدها فقط.. مجرد رغبة جسدية.

تمتم بصوت أجش منخفض: «جورجي.. قوليها.. قولي إنك تريدينني.. قولي إنك تريدينني مثلما أريدك».

ورفع نفسه قليلاً، ينظر إلى وجهها الناعس: «اعترفي».

التفتت إليه بعينين خضراوين ناعمتين. وقالت الكلمات الوحيدة التي تشغل قلبها: «أحبك.. كثيراً».

وأغمضت عينيها وحرّكت رأسها من جانب إلى آخر بعذاب.

ـ لا.. قوليها كما هي جورجي.. من دون ادعاء.

للحظة لم تفهم. وضاعت في عالم من المشاعر المتناقضة.. يجب

أن يجري هذا حسب شروطه . . يجب أن تقول له إنها تريده وتحتاج إليه . . لكن لا يحقّ لها أن تنطق بكلمة الحب . . لكنها تحبه .

ـ أحبك .

هذه المرة لم تقلها برغبة مسعورة، بل كأمر واقع . . وأدرك مات هذا فجمدت يداه فوقها .

استلقت جامدة، تنظر إليه . . وتسمح له بأن يقرأ الحقيقة في عينيها . . وعندما رأت الصدمة ترتسم على وجهه، عرفت أنها ستتذكر هذه اللحظة طوال حياتها .

ـ لا . . لا . . أنت لا تحبينني .

ـ بلى . . أحبك .

وتركتها يداه، فجلست بسرعة، وشدت المنشفة حول كتفيها . . فجأة، وبالرغم من حرارة الشمس، أحست بالبرد . . وقالت بوقار مؤلم :

ـ قد لا يعجبك هذا . . لكن هذه هي الحقيقة . طالبتني بعدم الادعاء مات . . لهذا، من الأفضل أن تعرف الحقيقة الآن . . تجاوبت معك لأنني أحبك، ولم أتجاوب مع أحد من قبل بمثل هذه الطريقة .

وأحست بصدمته بالرغم من هدوء صوته: «هل تعنين أنك لم تقيمي أي علاقة جسدية مع غلين؟» .

ـ لا . . لم أفعل، لم يبدُ لي هذا مناسباً . لكني لم أحبه، ولم أعرف هذا إلى أن التقيتك . لم أحبه كما يفترض أن تحب الشخص الذي تريد أن تمضي معه بقية حياتك .

هاك . . لقد قالتها . . لكن هذا لن يفيد، وتعرف هذا . . لكنها لا تستطيع أن تعيش بقية حياتها وهي تتساءل عما إذا كان يعرف أنها تحبه حباً عميقاً . . كانت تشعر بالراحة حين تنظر إلى وجهه . . لكنه على الأقل سمع الحقيقة، والكرة الآن في ملعبه .

قال بصوت بارد: «أنا لم أعدك بشيء جورجي . . وأنت تعرفين ذلك . . وتعرفين شعوري نحو هذا النوع من الالتزام الذي تتكلمين عنه . .

أنا لست مخلوقاً لهذه الحياة . . ولا أريدها» .

سألت بهدوء: «ولماذا أنت خائف من النطق بالكلمة؟ لأن الحب يسير مع احتمال الغدر والخسارة؟» .

نظر إليها، وعيناه الرماديتان حادتان وكأنهما من الأردواز .

ـ بيغوينا تلك، التي أخبرتني عنها . الفتاة من الجامعة، جرحتك بشكل عميق . . ألم تفعل؟

لقد قالت أمه إنها لم تبحث الأمر مع أحد، وأحست جورجي أن مات لم يتكلم عنها أيضاً .

ودعته بلطف: «ماذا حدث مات؟» .

وأملت ألاّ يفضح صوتها ارتجافها الداخلي . . حبذا لو يقول لها! لو يفتح قلبه قليلاً . .

أخذ نفساً عميقاً، وقال بصوت أجش: «الكلام عن الأمر لن يغيّره، فالماضي هو الماضي» .

جابهته بثبات: «لكن المسألة ليست ماضياً بالنسبة لك . . وإلى أن تصبح من الماضي لن تتمكن من التواصل مع المستقبل» .

ـ وفري عليّ هذه التفاهة جورجي .

قاومت واستجمعت رباطة جأشها، وردّت: «أنت تريد المشاجرة معي . . أليس كذلك؟ الهجوم خير وسيلة للدفاع . . هذا مجرد غطاء تستعمله لأنك خائف من انتهاز الفرصة، والثقة بأحد!» .

رد بمرارة: «أتريدين سماع قصة بيغوينا؟ سأرويها لك إذن! بكل التفاصيل القذرة» .

وروى لها كل ما جرى . . بصوت هادىء شرير بارد جداً .

بقيت جورجي تحدق فيه طوال الوقت . . إنه على حق، فهذا لم يحقق شيئاً . وأدركت ببؤس أنها لم تكسب سوى كراهيته . . توقّعت أن يشعر بشيء من الارتياح، لكن، بكشفه عما يعتبره إذلالاً وهزيمة، جعلته يكرهها . إنه رجل فخور، ولن يسامحها على هذا .

حين انتهى من الكلام، وأصبح الصمت مؤلماً همست جورجي:

ـ كانت مريضة مات.. مريضة في دماغها وفي جسدها.. وشخص مثلها لا يمكن أن يحب. الحب ليس هكذا..

استدار ليواجهها، وصاح بصوت متوحش: «وما الذي يجعلك خبيرة؟».

ـ ما أشعر به نحوك.

أجفل بشكل ظاهر، لكنه وقف فوراً ووجهه بارد كالثلج.. وقال بصوت متحجر: «أنت تتكلمين عن الانجذاب الجسدي.. مع أنك زينته لتمنحيه مظهراً آخر استرضاء لسنوات وسنوات من الكبت. أنت تخدعين نفسك جورجي.. الشعور الذي تتحدثين عنه لا وجود له. إنه مجرد اندفاع بيولوجي للتزاوج.. رغبة في العيش والتناسل.. حاجة للحماية والدفء.. للأمان.. كل هذه أوجه لما يسمى حباً، ولا ينبغي أن نتوقع أن يعيش شخصين معاً لبقية حياتهما. فالرجل ليس حيواناً لزوج واحد فقط».

لقد خسرته. لكنه لم يكن لها يوماً.

قالت بصوت يرتجف: «أنا لا أصدق هذا. ولا أظنك تصدقه، ليس من أعماق قلبك.. هناك نوع من الحب يدوم إلى الأبد، نوع يحتاج إلى الحميمية والالتزام وما إلى هنالك. أخي وزوجته عرفا هذا النوع من الحب، ووالداك أيضاً».

قال بجفاء: «لا تعرفين شيئاً عن والديّ.. لذا لا تعظيني».

وقفت وهو يتكلم وارتدّ رأسها إلى الخلف بعد أن صدمتها عجرفته.. ولأول مرة، غمرها الغضب ولم تحاول كبحه، إنها تحتاج إلى حرارته القوية لتحارب عذابها الداخلي.

قالت بسخرية لاذعة: «أعظك؟ أعظك أنت مات دو كابسترانو العظيم؟ لن أجرؤ! كيف يمكن لفانية مثلي أن تجرؤ على المخالفة في مثل هذا الحضور الممجد؟».

ـ لا تتصرفي بطفولية.

ـ لعلي طفولية.. لكنني أفضل هذا على أن أكون كتلة صخر مثلك.

وزادت برودته من غضبها.

ـ أنا على الأقل حيّة يا مات! أنا أشعر.. أتألم.. أبكي.. أقوم بكل الأمور العادية التي يقوم بها البشر.. طبعاً، قد تجعلنا الحياة نتمنى لو لم نخلق في بعض المناسبات، لكن البشر الحقيقيين يقاتلون.. وأنت تركت بيغوينا تدمرك. هل تدرك هذا؟ لعلهم أطلقوا سراحك من ذلك الجحر تحت الأرض، لكنك حفرت لنفسك في حفرة مكان أعمق وأكثر رهبة.. أنت لست رجلاً.. أنت ميت.

ردّ عاصفاً: «هل انتهيت تماماً؟».

ـ أوه.. أجل.. انتهيت. انتهيت معك، ومع هذه المسرحية الهزلية.. ومع هذه البلاد! أريد العودة إلى بلادي.

الكلمات الأخيرة خرجت أشبه بالعويل، ولم يكن هذا الانطباع الذي أرادت أن تتركه بعد أن وصفها بالطفولية.

قال بسخرية: «أعدك بأن تكوني على أول طائرة إلى إنكلترا غداً».

ـ كن حذراً مات.. الوعود ليست من شيمك.

كانت العودة إلى منزله كالكابوس. كان وجه مات منحوتاً من حجر، ولم ينظر إليها أو يكلمها مرة واحدة. جلست جورجي ساكتة في مكانها، وعقلها يردد كل الكلمات القاسية التي رمتها في وجهه.. قالت كلمات قاسية.. لكنها تحبه، تحبه من كل قلبها، وكل ما فعلته هو نعته بنعوت سيئة. كان عليها أن تكون متفهمة، لطيفة ومحبة، وأن تثبت له أن الحب الحقيقي يعني التسامح.

لكنه متعجرف جداً.. يثير السخط، يستحيل التعامل معه! ولم تكن تعرف أن طبعها حاد حتى التقت مات.. يا للسماء! لقد ظهر هذا الطبع فجأة! لكن كل ما قالته.. وأغمضت عينيها بشدة. وفتحتهما، تنظر من دون أن ترى عبر الزجاج الأمامي. تستطيع أن تراهن أن ما من أحد كلمه بهذه الطريقة من قبل. كيف يمكنه أن يدفعها لقول أشياء كهذه وهي تحبه

كثيراً؟ يمكن لها أن تتخلى عن العالم كله لتشفي الجروح التي تسببت بها بيغوينا ورفاقها.

حين توقفا أمام المنزل، ترك مات السيارة وفتح لها بابها.. لكنه لم ينطق بأيّ كلمة حتى وصلا إلى الردهة: «لا بد أنك متعبة بعد هذا النهار الشاق.. سأطلب من فلورا أن ترسل لك الطعام إلى غرفتك بعد أن تستحمي وتستعدي للنوم».

بمعنى آخر، لا يريد أن يراها ثانية إلى أن تغادر إلى انكلترا غداً. وهزت جورجي رأسها متصلبة، ورفعت ذقنها الصغير تستجمع كل ذرة من وقارها وهي تقول: «شكراً لك.. لكنني لست جائعة».

ـ ومع ذلك ستصلك صينية الطعام.

ـ افعل ما تشاء، فأنت تفعل ما تريد على أي حال.

رفعت رأسها وهي تستدير، وسارت نحو السلم بساقين مرتجفتين.. إنه وحش، من دون إحساس. إنه كذلك فعلاً.

في غرفة نومها، جلست على السرير دقائق طويلة، قبل أن تتمكن ساقاها من أن تحملاها إلى الحمام.

أرادت أن تبكي.. تحتاج لأن تذرف الدموع لترتاح. لكنها لم تجد في أعماقها سوى رماد جاف، مما جعل مشاعرها تسوء أكثر.

بعد حمام ساخن، غسلت شعرها والتفت بالعباءة، وخرجت إلى غرفة الجلوس، ومنها إلى الشرفة حيث طالعها الغروب المثقل بالعطر.

جاءت فلورا بصينية الطعام بعد عشر دقائق، فشكرتها وابتسمت لها بشكل طبيعي. إلا أنها عرفت أنها لن تتمكن من أكل شيء، ولم تزعج نفسها في كشف الأطباق، واكتفت بحمل كأس العصير الكبير لتشربه على الشرفة. جلست على كرسي منجد ترتشف العصير وعيناها تتأملان المنظر الرائع.

لم تندم على ما قالته.. لكنها تمنت لو قالته بشكل مختلف، هذا كل ما في الأمر.

أخذت العتمة تزداد بسرعة. ونشرت الشمس أشعتها القرمزية، والذهبية والبرتقالية في المساحة الزرقاء الواسعة. كان المنظر جميلاً وعظيماً.. لكن جماله هذه الليلة لم ينعكس على روحها فرحاً، مما أخافها. أحست أنها ميتة من الداخل، كما اتهمت مات. وهذا الإحساس انعكس في صوتها حين سمعت فلورا خلفها.

قالت باكتئاب: «الصينية على الطاولة الصغيرة فلورا.. أنا آسفة، لم أستطع أن آكل. أعتقد أنني تعرضت لأشعة الشمس بكثرة اليوم».

ـ سامحيني جورجي.

سمعت الصوت من دون أن تعرفه لشدة صدمتها.. ثم استدارت بسرعة، فسكبت العصير وهي ترفع يدها إلى عنقها حين رأت مات خلفها تماماً.

بدا لها رهيباً.. ورائعاً. وخفق قلبها بقوة بشدة، وبدأت نبضاته تتسارع وكأنه في سباق مع الزمن، وأدركت أنها ليست ميتة من الداخل حين تحرّك الألم.

ـ ماذا.. ماذا تريد؟

لم يحاول التقدم أكثر: «أريد أن تستمري في حبي».

ـ لكنك لا تؤمن بالحب.

وامتلأ وجهها بالدموع التي كبتتها طويلاً.

قال بألم حاد: «إذا كان ما أشعر به نحوك ليس حباً، فكل الشعراء وصفوا الحب بشكل خاطىء.. أحببتك منذ رأيتك جورجي.. حاولت أن أقنع نفسي بألف وألف تفسير.. تجاذب جسدي، رغبة.. أنا.. لن أدعك تتركيني.. سأموت إن تركتني. لم أعرف نفسي في الأسابيع الماضية وهذا ما أرعبني».

قال كلماته الأخيرة بحيرة غاضبة، كانت لتضحكها في ظرف آخر.

ـ أنت.. لن تموت.. فماذا عن بيبيتا والأخريات؟

ولم تدرك إلى أن تلفظت باسم المرأة الأخرى كم أن وجودها يؤلمها.

ـ بيبيتا؟

وقام بحركة متوترة مزدرية بيديه، جعلت جورجي تشعر بشيء من الأسى على المرأة الإسبانية الجميلة.

ـ بيبيتا هي كأخت لي. ولقد قلت لك هذا.. ولا يوجد أخريات.. ولن يكون هناك الآن وقد عرفتك... هذا ما فعلته بي.. منعتني عن أي امرأة أخرى.

ـ لكنك قلت..

وأخذت نفساً عميقاً، تحاول السيطرة على شفتها السفلى المرتجفة:

ـ قلت..

قاطعها بآهة عميقة قاسية: «أعرف ما قلت.. قلت إنك تخدعين نفسك، وأنا أعرف طوال الوقت أنني أنا من يخدع نفسه، وليس أنت. اتهمتني بأني خائف من ذكر كلمة الحب، بسبب ما تحمله معها. وهذا صحيح. كان هذا صحيحاً».

سألت وهي تراه عبر ضباب الدموع: «ما الذي تغير إذن؟ ما الذي جعلك تغيّر رأيك؟».

ـ فكرة أن أخسرك.. حبي.

وكانت هذه كلمة التحبب التي ظنت أنها لن تسمعها أبداً، ولم تستطع أن تستوعبها.

اتهمته مرتجفة: «لقد أردت علاقة معي».

ـ ولا زلت أريدها.. علاقة تدوم لما تبقى من حياتنا، وإلى أبعد منها، علاقة حب حقيقية. أريدك جورجي.. ولا أريد جسماً دافئاً في فراشي بل أريد أن نكون كل شيء لبعضنا.. زوجة وزوج، عاشقين، صديقين.. أعترف أن هذا لا يزال يرعبني.. لكن ليس بقدر العيش من دونك. حين اعترفت بحبك لي اليوم، عرفت كل هذا.. أتعرفين الأرض التي اشتريتها حيث تعيش الفراشات؟

ـ الفراشات؟

ثم تمالكت أفكارها: «أوه.. أجل.. نيوبوتل ميدو».

ـ لن أبني عليها.. لقد اشتريت أرضاً غيرها.. مصنع قديم بشع جداً.. وسيكون هذا مشروع روبرت الجديد.. أبلغت السلطات أنني سأحول الأرض إلى ملاذ للحياة البرية، ومكان للنزهة. وسوف أخصص مبلغاً سنوياً لصيانتها وما إلى ذلك.

سألت مذهولة: «متى فعلت هذا؟».

ـ حين التقيت بالفتاة التي انتظرتها طوال حياتي.. منذ أسابيع. وسأسميها «جورجي ميدو» من الآن وصاعداً.

تأملته جورجي دهشة للحظات.. ثم سألت: «أنا؟».

ـ أنت.

وأخذها بين ذراعيه، وعانقها طويلاً إلى أن انقطعت أنفاسها.

ـ أنت.. حبي إلى الأبد.

حذّرته وهي منتشية: «أريد أطفالاً».

وتساءلت كيف يمكن لعناق أن يمسح كل العذاب الذي مرت به في الساعات الأخيرة.

ـ وأنا كذلك بيكوينا.. المئات منهم.

ـ قد يكونون مثل أولاد فرانسيسكا.

ـ سيكونون رائعين. وكيف يمكن أن يكونوا خلاف ذلك، وأمهم رائعة؟

وحملها بين ذراعيه ثم جلس على الكرسي، وضمها إليه مرة أخرى إلى أن أحست بالضعف وارتجفت بين ذراعيه.

حين تمكّنت أخيراً من أن تبتعد عنه قليلاً لتنظر إليه، بدت عيناها مشرقتين وفمها مبتسماً: «مات؟».

ـ نعم حبي.

قالت بجد: «أنا لست رائعة».

ـ بلى.. أنت رائعة.. بالنسبة لي على الأقل.

***